(٣)

بلوغ الأرب برفع الطلب

تأليف

محمد البرلسى السعدى

تقديم وتعريف وتحقيق

الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

كلية البنات ـ جامعة الأزهر

تمهيد :

وضع السلطان سليم ـ بعد خضوع مصر للحكم العثمانى ـ بعض الترتيبات الإدارية، التى كان الهدف منها، ضمان استمرار ولاء مصر للحكم العثمانى ،وكان من بين هذه الترتيبات ، ترك حامية عثمانية كبيرة ، مهمتها حماية البلاد، وتوطيد الأمن فيها ، والمشاركة فى إدارة شئونها[1] ، ورغم هذه الترتيبات التى وضعها السلطان سليم، فان بعض العناصر المملوكية الجركسية، وبعض الزعامات العربية

(١) بشأن هذه الترتيبات ، ونظم الحكم العثمانى ، انظر ، دكتور عبد الرحيم عبدالرحمن تقديم « كشف الكربة فى رفع الطلبة » المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث والعشرون ١٩٧٦ م ، ص ٢٩٢ .

وبخاصة التي كان في يدها إدارة الأقاليم ، قامت بعد وفاة خاير بيك ، ببعض التمردات ، ضد الحكم العثماني[1]. كما حاول ، أحمد باشا ، أحد الولاة العثمانيين الملقب « بالخائن » إستغلال روح التمرد هذه ، والإستقلال بالبلاد ، ولكن محاولته باءت بالفشل[2] ، فجاء ابراهيم باشا الصدر الأعظم إلى مصر لدراسة أحوال البلاد واستقصاء أسباب هذه التمردات ، وبعد دراسته لأوضاع البلاد وأحوالها قدم إلى السلطان سليمان تقريرا مفصلا ، وصدر قانون نامة مصر[*] « وجدّد القوانين المصرية ، وخلدها في الدفاتر » ، « بموجب دفاتر الجراكسة القديمة »[3] .

استطاع الولاة العثمانيون ، في الفترة التالية لصدور قانون نامة ، وحتى السبعينات من القرن السادس عشر ، وإلى حد كبير ، تنفيذ أحكام هذا القانون،

---

(١) من هذه التمردات ، تمرد جانم السيفي، كاشف البهنسا والفيوم ، وكاشف أطفيح وإينال الطويل كاشف الغربية .

انظر ، يوسف الملواني ، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب (مخطوطة) نسخة مصورة ، عن النسخة الأصلية ، المحفوظة بمكتبة رفاعة رافع الطهطاوي بسوهاج، النسخة المصورة رقم ٥٦٢٣ تاريخ، ص ١٦٤ ؛ أحمد شلبي بن عبد الغني ، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، نسخة مصورة — في حوزتي — عن نسخة مكتبة جامعة ييل بالولايات المتحدة ، المحفوظة بها تحت رقم Landberg No. 3 ؛ محمد بن أبي السرور البكري ، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، (مخطوط) ورقة ٤١ ، والنزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية مخطوطة ورقة ٢٢ ؛ دكتور عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦ — ١٧٩٨)، الطبعة الثانية ص ص ١٣٨ — ١٤٠ .

(٢) عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ، ص ص ١٤٠ — ١٤٣ .

(*) نقوم حالياً بالاشتراك مع الصديق الدكتور أحمد فؤاد متولي مدرس اللغة التركية بآداب عين شمس تحت إشراف أستاذنا الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بإعداد دراسة عن هذا القانون ونشر نصه مترجماً إلى اللغة العربية ضمن مطبوعات «سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث » بجامعة عين شمس .

(٣) يوسف الملواني ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ ، محمد بن أبي السرور ، المنح الرحمانية ، ورقة ٤٢ ؛ النزهة الزهية ، ورقة ٢٣ .

بجد وحزم ، وقاموا بكثير من الأعمال النافعة . وتوطيد نظم الإدارة العثمانية في البلاد ، ولكن منذ الربع الأخير من القرن السادس عشر ، بدأت الأمور تضطرب بعض الشيء، وبدأت بعض فرق الحامية العثمانية - وبخاصة جند السباهية - هي التي تتزعم الثورات ، والحقيقة أن ثورات الجند في تلك الفترة أصبحت ظاهرة عامة في أرجاء الدولة العثمانية وليست ظاهرة خاصة بمصر ، وقد كانت اهنك عوامل كثيرة تحرك هذه الثورات، يأتي على رأسها العوامل الاقتصادية[1] وسندرس فيما يلي أسباب هذه الظاهرة في مصر ، حيث أن موضوع المخطوطة التي ننشرها ، كان أحد الأسباب التي حركت هذه الثورات ، وسوف تتناول هذه الدراسة ، أسباب ثورات جند السباهية في مصر ، ثم التعريف بالمخطوطة ومؤلفهـــا .

أسباب ثورات جند السباهية :

(أولا) تذكر المصادر المعاصرة الكثير عن الاضطراب الاقتصادي الذي بدأ يسود البلاد وكان أحد العوامل المحركة لثورات الجند منذ ولاية علي باشا الصوفي(غرة رجب ٩٧١ – سلخ رمضان ٩٧٣هـ / ١٤ فبراير ١٥٦٤ – ٢٠ أبريل ١٥٦٦م) حيث بدأ الزيف في المعاملة ، نتيجة لخلطها بالنحاس زيادة عن القانون، وكثر المفسدون من اللصوص وقطاع الطرق ، وكان لذلك أثره على أحوال البلاد ، وبدأ جند السباهية يستغلون نفوذهم في فرض الضرائب غير الشرعية على الأهالي، ويثورون ضد الولاة الذين يقفون في وجـــه ما يفعلون ، محتجين على ذلك بانخفاض القيمة الشرائية لمرتباتهم[2] ومن هنا كانت بداية ثورات جند السباهية .

---

(١) انظر : دكتور عبد الكريم رافق ، ثورات العساكر ، ص ص ١٥ — ٢٢ .

(٢) محمد بن أبي السرور البكري ، المنح الرحمانية ، ورقة ٤٧ ، النزهة الزهية ، ورقة ٢٥ ؛ يوسف الملواني ، المصدر السابق ، ص ص ١٦٨ — ١٦٩ ، أحمد شلبي ، المصدر السابق ، ص ١١ ، دكتور عبد الكريم رافق ، ثورات العساكر في القاهرة في الربع الأخير من القرن السادس عشر ، والعقد الأول من القرن السابع عشر ومغزاها ، ص ص ١٥ — ٢٤ .

(ثانياً) نتيجة لنظام الإدارة العثمانية فى الريف ، أصبح لجند السباهية (جمليان — تفكجيان — جراكسة) نفوذ كبير فى الريف ، حيث كانت مهمتهم الأساسية . توطيد الأمن وحماية المناطق الزراعية ، وطرق المواصلات من غارات البدو ، والمحافظة على شبكات الرى ، والإشراف على توزيع المياه على القرى ، ومساعدة الأمناء الذين كانوا يديرون المقاطعات ، وكذلك مساعدة الكشاف فى أداء مهمتهم، حتى أن المصادر المعاصرة تطلق عليهم « طائفة الجند المكتوبين ، فى بلاد الأرياف ، مع كشاف الأقاليم » ولكن هؤلاء الجند استغلوا نفوذهم على سكان الريف ، وفرضوا لأنفسهم كثيراً من الامتيازات والعادات التى لم يستطع أهل الريف منها فكاكا ، ولما حاولت الدولة العثمانية رفع هذه المظالم الاقتصادية عن كاهل أهل الريف ، وكلفت ولاتها بالعمل على إبطال هذه المظالم وبخاصة مظلمة الطلبة ، كانت هذه المحاولة سببا مباشراً فى إشعال نار ثورات جند السباهية[1] .

والمخطوطة التى نحن بصددها ، تصور ما أصاب الريف من أعمال هؤلاء الجند ، وثوراتهم ضد الولاة منذ الربع الاخير من القرن السادس عشر ، حيث ترسم الصورة التالية لأوضاع أهل الريف فى ظل هذه المظالم ، وكيف أصبح جند السباهية يشكلون طبقة متميزة عن سكان البلاد :

« وكانت قبل هذا الأوان قد اختل أمرها ، وضاقت معيشة أهلها ، لما كثر شرها ، وحصل ضرها ، وضعفت فلاحيها ، وخربت قراها ، وانفصمت عراها ، وانقلبت أحوالها ، وتعطلت غلالها وأموالها ، لما أراده الله سبحانه وتعالى فى القدم ، ابرازها من الوجود إلى العدم ، وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وجلاء الفلاحين ، وإهانة الشرع المبين ، واتسع الخرق وزاد الحرق ،

---

(١) دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ص ٥٣ — ٦١ .

وكان ذلك كله بسبب قيام طايفة من جنـــد مصر المكتوبين مع الكشاف فى نواحى الأرياف ، أظهروا العناد ، وسعوا فى الأرض بالفساد ، وأحدثوا شيئاً يسمى الطلبة ، على الفلاحين ، وصاروا يضاعفونها فى كل سنة من السنين ، إلى أن زادت على أموال المقاطعة ، هذا ولم يقدر أحد على المدافعة ، وعمت وطمت وزاد خبثها وغمت ، وذلك خلاف ، ما صدر منهم من الأمور الشنيعة ، والفعايل الخارقة الوشيعة ، من ارتكاب الزنا واللواط بالمرد جهارا ؛ وافتضاض الأبكار نهاراً ، وصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، ولا يأتمرو بأمر ولاتهم وكشافهم فيما يفعلوه ، وصار لهم اسمطة وأطعمة غالية المقدار ، زايدة الافتخار ، تحمل إلى خيامهم آناء الليل وأطراف النهار ، وتهديد الكشاف بالقتل ، إن قصروا عن ذلك ، ويسلكون بهم أسوأ المسالك ، والمسلمون معهم فى أمر مريج معوج غاية التعويج ، وقد صار أرذل الجند عندهم مقلداً بالسيوف المسقطة والسروج المذهبة المنقطة ، والخيول المسومة ، والعدد المقومة ، والأولاد الجميلة المزينة ، والنعمة الظاهرة المبينة ، فإذا وجدوا ولداً مع والده اغتصبوه وأخذوه وتبعوه ورصدوه ، مع الفسق بنساء الفلاحين ، وافتضاض بناتهم الأبكار ، وسلب ما معهم من الدثار ، وغير ذلك من الأشياء المنكرة ، والحوادث الشنيعة المبتكرة»[1] وواضح من هذا النص ، كيف أن أفراد جند السباهية استغلوا سلطتهم ونفوذهم على أهل الريف ، الذين ضجوا بالشكوى من هذه المظالم ، ولما حاول الولاة الحد من هذه المظالم وإلغاء الطلبة التى أصبح هؤلاء الجند يعتبرونها حقاً مقرراً لهم ، ثاروا ضد هؤلاء الولاة ، وتمردوا عليهم وعلى أوامر الدولة ، ولم تجدهم النصيحة فتيلا ، ووصل بهم الأمر إلى حد تهديد هؤلاء الولاة بل وقتل أحدهم ، وقد سبق لنا معالجة هذه الثورات ، فى الدراسة التى قدمنا بها للنشر مؤلف محمد بن أبى السرور البكرى الصديق ، حول موضوع

(١) انظر النص ، ص ص ٨ — ١٠ ، ص ص ٢٨٦ — ٢٨٨ من هذه الطبعة .

« الطابة » ذاته ، والمسمى « كشف الكربة فى رفع الطلبة » ، ونضيف هنا إلى الدراسة السابقة الملاحظات التالية :

أولا : إن هذه الثورات ، إمتازت بالعنف والقسوة ضد الولاة العثمانيين من ناحية ، وضد السكان المحليين من ناحية ثانية ، فنجد أن اتسامها بالعنف ضد الولاة، أذهب عنهم هيبتهم ، وأفقدهم سلطانهم ، حتى أصبح بعضهم يستجيب لمطالب هؤلاء الجند ، ويصدر أوامره بإعطائهم ما يريدون من طُلب وغيرها ، كما حدث مع أويس باشا (١٢ جمادى الثانية ٩٩٤ – ١٨ جمادى الثانية ٩٩٩هـ / ٣ مايو ١٥٨٦–١٣ ابريل ١٥٩١م) الذى قامت ضده أول ثورة من ثورات هؤلاء الجند ، ووصل العنف بهم أقصى درجاته ساعة قتلهم إبراهيم باشا (١٤ ذو الحجة ١٠١٢ – ١ جمادى الأولى ١٠١٣هـ / ١٤ مايو ١٦٠٤ – ٢٥ سبتمبر ١٦٠٤ م) وتحديهم بعد ذلك للسلطات وإعلانهم الاستقلال بمصر ، وتعيينهم سلطانا ورؤساء من بينهم ، وتقسيم البلاد فيما بينهم إلى مناطق نفوذ[١] .

أما السكان المحليين فان هذه الثورات كانت سبباً فى إضعاف أحوالهم ، وخراب بلادهم ، ولم يكن أمامهم من سبيل سوى الشكوى لكل باشا جديد ، ساعة قدومه إلى مصر ، لعلهم واجدين فيه ، منقذاً لهم من تصرفات هؤلاء الجند[٢] .

ثانياً : إن عنف هذه الثورات ، لم يكن قصراً على الريف ، وإنما امتد إلى المدينة ، وبخاصة المدن الكبرى ، كما حدث فى القاهرة والمحلة ، وطنطا ، واعتدائهم على الكشاف ، وتهديدهم لهم ، كما هددوا كثيراً من الرؤساء ، وكبار

---

(١) دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، تقديم كشف الكربة ، ص ٢٩٨ .

(٢) نفسه ، ص ص ٢٩٣ — ٢٩٤ .

المسئولين فى حكومة القاهرة ، وتعقبوا بعضهم إلى حد القتل وإهانة أولاد العرب (السكان المحليين) ، إهانة شديدة « فى أخذ خيولهم ، وما عليهم من اللباس الحسن » « ونادى مناديهم أن أولاد العرب لا يستخدمون مماليكا بيضا » ، وهذا يوضح أن أمر إلغاء الطلبة لم يكن هو السبب الوحيد لهذه الثورات ، وإنما محاولة الوقوف فى وجه الإمتيازات المادية التى حصل عليها هؤلاء الجند ، كانت الدافع الأساسى لها سواء فى المدينة أو الريف[1] .

ثالثاً : يتضح من دراسة هذه الثورات والعناصر التى شاركت فيها ، بروز العنصر المملوكى على وجه الحياة السياسية والعسكرية فى مصر ، سواء فى الجانب الثائر أو فى الجانب الحكومى المضاد لها ، فإذا نظرنا إلى الجانب الثائر ، وهم جند السباهية فإننا نجد أن معظمهم من عناصر مملوكية ، أى أن هؤلاء الثائرين حينما أعلنوا خروجهم على السلطة العثمانية وعينوا سلطاناً ورؤساء من بينهم ، معنى ذلك إعلان العنصر المملوكى خروجه على السلطة العثمانية ، وفى نفس الوقت نجد أن القوات الحكومية ورياستها كانت فى يد عناصر مملوكية كذلك وأن كثيراً من المناصب الإدارية — كما يتضح من استعراض الأسماء التى وردت فى المصادر المعاصرة — أصبحت فى يد عناصر مملوكية كذلك ، أى أن العناصر المملوكية أصبحت هى المتنفذة فى إدارة شئون البلاد وأنه لو قدر لجناحيها التنسيق فيما بينهما ، لربما أدى ذلك إلى استقلال هذه العناصر بالبلاد وإعادتها إلى الحوزة المملوكية كاملة كما كانت من قبل ، ولكن لم يقدر لها فى تلك المرحلة أن تفعل ذلك ، وإن وضح منذ تلك الفترة وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، سيطرتها التامة على إدارة شئون البلاد السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وتوارى الحكم العثمانى إلى مرحلة الظلال ، حيث ضعفت فاعليته وسيطرته ، واكتفى بالسيادة الاسمية ، يؤكد هذا الاعتقاد ، أن الكتاب المعاصرين لأحداث ثورات السباهية ،

---

(١) انظر النص ، ص ١٢ ؛ ص ص ٢٨٨ — ٢٨٩ من هذه الطبعة .

اعتبروا تغلب محمد باشا (٧ صفر ١٠١٦ — ١٨ جمادى الثانية ١٠٢٠ هـ / ٣ يونيو ١٦٠٧ — ٢٨ أغسطس ١٦١١ م) على الثائرين ، وقضائه عليهم ، فتحاً عثمانياً ثانياً للبلاد « وهو فى الحقيقة الفتح الثانى لمصر ، فى الدولة الشريفة العثمانية أيدها الله تعالى » ، كما نعتت هذا الباشا بألقاب « معمّر مصر » و « مبطل الطلبة » و « قول قـــران » . وأعجب الكتاب والشعراء بأعمال هذا الباشا ، وعلى الأخص إبطال الطلبة ، وأخذ كل منهم يدلى بدلوه فى هذا الميدان[1] ، وكان من بين المعجبين صاحبنا « محمد البرلسى السعدى » الذى وضع مؤلّفه « بلوغ الأرب برفع الطلب فى عام ١٠١٧ هـ / ١٦٠٩ م ، مبينـا سبب وضعه لهذا المؤلّف بقوله « فلما رأيت ما وقع بالديار المصرية فى هذا العام (١٠١٧ هـ / ١٦٠٩ م) من الأمور الجسام ، والأهوال العظام ، اقتضى الحال ، تعليق تلك الأخبار ، قصداً للاعتبار ، وبما فعله هذا الدهر الغدّار بمشيئة الأقدار وتغلب حال الليل والنهار ، بما يفضى لقارئها العجب ، وتميل أعطافه من الطرب وطرزتها ببعض آيات شريفة من الكتاب الكريم ، وأحاديث شريفة ، الواجبة القبول والتعظيم ، ونكات لطيفة ، واستطردات ظريفة ، بعضها بالمشاهدة وبعضها بأخبار الثقاة طلباً للفائدة ، وسميتها « بلوغ الأرب ، برفع الطلب » والله سبحانه

---

(١) انظر محمد بن أبى السرور البكرى ، كشف الكربة فى رفع الطلبـة ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث والعشرون ، ١٩٧٦ م ، تحقيق دكتور عبـــد الرحيم عبد الرحمن ؛ دكتور عبد الكريم رافق ، ثورات العساكر ، ص ص ٢٩ — ٣٢ ، بلاد الشام ومصر ، ص ص ٢٣٩ — ٢٥٣ .

— Shaw, J. Stanford. The financial and Administrative organization and development of ottoman Egypt, Princeton 1956. pp 87—88

— Holt, P.M. Egypt and fertile Crsscent 1515—1722, apolitical History, P. 76,

وتعالى أسأل اتباع سلوك الحق ، وإلهام طريق الصدق، إنه ولىّ ذلك والقادر عليه ، وفى الحقيقة فالكل منه واليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم »[1] .

* * *

(ثانياً) التعريف بالمخطوطة ، ومؤلفها وموقفه من الأحداث التي عاصرها :

١ – المخطوطة :

مخطوطة « بلوغ الأرب برفع الطالب » ، تأليف محمد البرلسى السعدى ، تؤكد الصورة التى رسمها ، محمد بن أبى السرور البكرى فى مؤلفه « كشف الكربة فى رفع الطلبة » ومؤلفاته الأخرى[2] ، عن أحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فى الفترة الممتدة من (٩٩٧ – ١٠١٧هـ / ١٥٨٩ – ١٦٠٩م) ، حين تمكن محمد باشا (١٠١٦ – ١٠٢٠هـ / ١٦٠٧ – ١٦١١م) ، من القضاء على ثورة جند السباهية فى (٩ ذى القعدة ١٠١٧ هـ / ١٤ فبراير ١٦٠٩ م) ، وتوجد النسخة الأصلية لهذه المخطوطة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، تحت رقم (٨١) تاريخ ، وتوجد صورة لهذه النسخة على فيلم برقم ٢٦ بمعهد إحياء المخطوطات العربية ، التابع لجامعة

---

(١) انظر : ص ص ٢ – ٣ ، من الترقيم الذى وضعناه للنص ، ص ص ٢٨٣ – ٢٨٤ ، من هذه الطبعة .

(٢) انظر : حول هذه المؤلفات . دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، تقديم « كشف الكربة ، فى رفع الطلبة » المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث والعشرون ، ص ٣٠٤ .

الدول العربية ، ومدوّنة تحت رقم (٩٣٧) ، تاريخ بالجزء الثانى من فهـــرس المخطوطات[١] .

وهذه النسخة بخط المؤلف الذى كتبها عام ١٠١٧ هـ / ١٦٠٩ م ، بخط النسخ الجميل ، والمخطوطة تقع فى تسع وخمسين (٥٩) ورقة ، لا ســتين (٦٠) ، كما ذكر فى البيانات المدونة عنها فى فهرس المخطوطات ، أى أنها تحتوى على مائة وخمسة عشرة صفحة ، خلاف صفحة الغلاف حيث أن الورقة رقم ٥٩ ، كتبت بها صفحة واحدة فقط والصفحة الثانية تـكملة للمخطوطة المكتوبة على هامش المخطوطة ، وقد رقمنا صفحات النص بأرقام بين قوسين معكوفين لتوضيح بداية كل صفحة جديدة مبتدئة برقم ١ ، ومنتهية برقم ١١٥ :

وكل صفحة من النص تحتوى على سبعة عشر (١٧) سطرا ، وكل سطر يحتوى مابين سبع أو ثمانى (٧ ، ٨) كلمات ، ومما هو جدير بالإشارة ، أنه كتب فى الجزء الأعلى من يمين صفحة الغلاف العبارة التالية « استصحبه العبد الآثم شلبى زاده ، إسماعيل عاصم ، أصلح الله شانه ، وصانه عما شانه » وشلبى زاده هذا مؤرخ عثمانى مشهور ، وربما قصد بهذه العبارة أنه استصحب أصل المخطوطة معه إلى المدينة المنورة حيث آلت إلى مكتبة عارف حكمت .

والمخطوطة بعد المقدمة التى بين فيها المؤلف السبب الذى دعاه إلى وضعها وفضل مصر وخيراتها وجندها ، وماقيل بخصوصها فى الحديث تعالج الموضوعات التالية :

---

(١) أشار الدكتور عبد الكريم رافق ، الى هـذه المخطوطة ، فى مؤلفه القيم « بلاد الشام ومصر » الطبعة الثانيـة ، ص ص ٢٤٢ — ٢٤٣ ، ص ٤٣٢ ؛ ثورات العساكر فى القاهرة ، طبع دمشق ؛ ص ص ٥ ، ١٠ ، ١٤ .

١ ــ الطلبة وماهيتها ، وكيف أصبحت سبباً فى خراب البلاد ، وفساد أحوالها .

٢ ــ الأحداث التى وقعت فى عهد الولاة الذين تولوا حكم مصر ، منذ عهد أويس باشا (١٢ جمادى الثانى ٩٩٤ ــ ١٨ جمادى الثانية ٩٩٩ هـ / ٣١ يناير ١٥٨٦ ــ ١٣ أبريل ١٥٩١ م) ، وحتى نهاية عهد محمد باشا (٧ صفر ١٠١٦ ــ جمادى ٨ الثانية ١٠٢٠ هـ / ٣ يونيو ١٦٠٧ ــ ٢٨ أغسطس ١٦١١ م)

٣ ــ ثورات جند السباهية ، والعناصر الأخرى التى شاركت فيها .

والملاحظ على هذه المخطوطة ، أنها تكاد تتشابه تماماً ، مع مؤلف «كشف الكربة فى رفع الطلبة» ، لمحمد بن أبى السرور البكرى ، فى أسلوبهـــا ، وترتيبها لذكر الأحداث بنفس العبارات ، مما يجعل الباحث فى حيرة أيهما تأثر أو نقل عن الآخر ، وإن ذكر كل منهما ، أنه وضع مؤلَّفه عام ١٠١٧ هـ / ١٦٠٩ م

ولكن مما هو جدير بالملاحظة أن مؤلَّف ابن أبى السرور يمتاز بذكر تفاصيل أكثر فى كثير من المواضع، كما أنه يمتاز بأنه جمع فى نهاية المؤلف ، مانقله من أفواه الثقاة من الناس ، ومما تجدر الإشارة إليه كذلك ، أن محمد البرلسى السعدى ، هو الذى قام بنسخ ومقابلة النسخة الموجودة لدينا من مؤلف ابن أبى السرور وانتهى من هـــذا العمل فى ١٠ ربيع الآخر ١٠٢٢ هـ / ٣٠ مايو ١٦١٣ م ، وربما يدعونا ذلك إلى الظن بأنه تدخل فى بعض مواضع من هذا المؤلف ، حيث أننا نجد أن الأشعار التى نسبت إليه فى كلا المؤلفين ، أصابها بعض التعديل فى بعض ألفاظها ، وزيادة بعض الأبيات فى نص ابن أبى السرور ، والتى لم يرد ذكرها فى نصه

الذى ننشره الآن[1] ، كما نجد كذلك أن المواضع التى تركت بيضاء فى مؤلف ابن أبى السرور البكرى ، هى نفس المواضع التى تركت بيضاء فى مخطوطة البرلسى التى نحن بصددها . وإن ظهر بعض الاختلاف فى ذكر بعض الأسماء التى وردت فى المؤلفين ، وقد أشرنا إلى كل ذلك فى موضعه من النص .

والمؤلف يعالج موضوعه على طريقة التراجم ، فبعد المقدمة يذكر الباشا الذى أوكل إليه السلطان حكم مصر ، وأهم الأحداث التى وقعت فى عهده ، وأهم أعماله ، ويستطرد خلال كتابته للأحداث ، بذكر بعض العظات والأحاديث النبوية ، والنكات والفكاهة التى تطابق واقع الحال ، ولم نحذف هذه الفقرات كما فعلنا عند نشر مؤلف ابن أبى السرور البكرى ، وإنما اكتفينا بالإشارة إلى مواضعها فى الهامش . وعموماً فإن أسلوب محمد البرلس السعدى، أكثر تناسقاً وإتقاناً فى التركيب من أسلوب ابن أبى السرور ، وقد أصلحنا الأخطاء النحوية والإملائية التى وقع فيها المؤلف،وأشرنا إلى ذلك فى الهامش .

* * *

٢ — المؤلف :

إذا كانت المعلومات التى لدينا عن محمد بن أبى السرور البكرى وأسرته جد كثيرة ، فإن معلوماتنا عن محمد البرلسى السعدى مؤلف «بلوغ الأرب برفع الطلب» ، جد قليلة ، حيث سكتت المصادر المعاصرة ، وكتب التراجم ، عن الترجمة له ، وكل معلوماتنا التى استطعنا تجميعها عنه ، جاءت مما كتبه عن نفسه ،

(١) قارن على سبيل المثال : قصيدته السعدية التى دونها فى مؤلف «كشف الكربة فى رفع الطلبة» ، ص ص ٣٧٨ — ٣٨٢ مع قصيدته المدونة فى نهاية نص مؤلفه «بلوغ الأرب برفع الطلب» .

فى ثنايا مؤلفه هذا ، أو أشعاره التى رصدها فى هذا المؤلف ، وما ذكره على صفحة غلاف مؤلفه ، وصفحة غلاف مؤلف محمد بن أبى السرور البكرى «كشف الكربة فى رفع الطلبة» ، والتى قام بنسخها ومقابلتهـا عام

$\frac{\text{١٠ ربيع الآخر ١٠٢٢ هـ}}{\text{٣٠ مايو ١٦١٣ م}}$ ، وبناء على هذه المعلومات يمكن القول ، بأنه

ينتمى إلى قبيلة بنى سعد وأن مستقر أسرته منطقة البرلس بشمال دلتا مصر ، وأنه كان فقيراً وكثير العيال وليس لديه مال ، حتى أنه وضع قصيدة مدح فى محمد باشا ذاكراً له هذه الحقائق لعله يمد له يد العون قائلا :

خذها عروساً من سميك وهو من ... ذوى سعد من أرض البرلس فى الذكر
وفى النفس حاجات وفيك مكارم ... يناجيك عن أسرارها عالم السر
فقير ومن أهل العيال وماله ... وحرمة رب دوهم قط فى مصر
ومن نيلك الفياض يرجو مكارماً ... فنيل أياديكم تجل عن الحصر[1]

ذكر كذلك أنه ولى منصب القضاء فى كل من إسكندرية ودمياط ورشيد

قبل عام $\frac{\text{١٠١٧ هـ}}{\text{١٦٠٩ م}}$ ، وأنه شافعى المذهب ، رفاعى الطريقة «البرلسى الرفاعى الشافعى[2]» .

أما ماورد من نسبة الدمياطى إليه ، فى البيانات التى كتبت عن طريق معهد إحياء المخطوطات على الورقة الأولى من المخطوطة . تحت اسم المؤلف . محمد البرلسى السعدى الدمياطى » ، فلا ندرى من أين جاءت نسبة الدمياطى هذه إليه » أجاءت نتيجة لأن منطقة البرلس تتبع لمحافظة دمياط ، أم نتيجة لأنه ذكر أنه

---

(١) انظر : ص ص ١١٤ — ١١٥ من النص طبقاً للترقيم الذى وضعناه له .

(٢) انظر : كشف الكربة فى رفع الطلبة ، صفحة الغلافة ، ص ٣٠٧ .

كان خادماً للشريعة المطهرة باسكندرية ودمياط ورشيد ، أم أنه خاط من كاتب البيانات ، حيث أنه لم يذكر هذه النسبة إليه قط فى مؤلفه[1] .

وقد كان البرلسى صادقاً فى رصده لأحـــداث الوقائع التى عاصرها ، متتبعاً لمسبباتها ونتائجها موجزاً لها ، غير مبالغ فيها ، فجاء تصويره للوقائع ، قريباً من الواقع ، ومتفقاً مع ماذكر فى المصادر المعاصرة الأخرى[2] ، ففى مؤلفه صورة واضحة عن الواقع الذى كان يعيش فيه المجتمع المصرى ، فى الربع الأخير من القرن السادس عشر ، ومطلع القرن السابع عشر ، إقتصادياً، وسياسياً وإجتماعياً .

---

(١) انظر : الورقة الأولى من المخطوطة ، حيث دونت البـيانات الخاصة بالمخطوطة ومؤلفها س ٢٨١ ، من هذه الطبعة .

(٢) انظر : مؤلفات محمـد بن أبي السرور البـكرى ، السابق ذكرها ، ويوسف الملوانى ، تحفة الأحباب ص‌ص ١٦٨ — ١٨١ ، وأحمد شلبى بن عبـد الغنى ، أوضح الإشارات ، ص‌ص ١٠ — ٢٣ ، جرجى زيدان تاريخ مصر الحديث ، جـ٢ ، ص‌ص ٨٢ — ٨٣ . طبعة ١٨٨٩م .

بلوغ الأرب برفع الطلب

لمحرره

العبد الفقير المفرط الحقير

خادم السنة الشريفة والعلوم المنيفة

محمد البرلسى السعدى

وخادم الشريعة المطهرة باسكندرية

ودمياط ورشيد سابقاً

ختم الله تعالى له بالصالحات

وأدرّ له البركات ، ولطف به فى المحيا والممات

وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين

[١] الحمد لله الذى أقام قوايم الشريعة الغرا، والمحجة الزهرا بمحمده، وأباد ذوى الطغيان، والبغى والعصيان بمهنده، وقطع دابر الطايفة المارقة، الخارجة عن طاعة الله ورسوله، وطاعة السلطان، ذوى البغى والعصيان، الذين هم فى ضلالهم يعمهون، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون، نحمده على أن هدانا الدين القيم ونشكره على إهانة الطغاة البغاة، ومن يهن الله فما له من مكرم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، الملك العدل القادر القاهر الديان، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا [٢] صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله. وصفيه وخليله، القايل: «من شق عصى أمتى فاقتلوه كاينا من كان»، الذى أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وجعله رسول الله وخاتم النبيين، فأخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون، ونبأ بما كان وما يكون إلى يوم يبعثون، واستعاذ صلى الله عليه وسلم من غلبة الدين وقهر الرجال، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيخ الدجال، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين شيدوا دعايم الاسلام فرفعوها، وعمروا بلاد الله بالعدل والاحسان أكثر مما عمروها، وسلم تسليما كثيراً، دايما غزيراً، وبعد فلما رأيت ماوقع بالديار المصرية فى هذا العام(*)، من الأمور الجسام، والأهوال العظام، اقتضى الحال تعليق تلك الأخبار قصدا للاعتبار وبما فعله هذا الدهر الغدار بمشيئة الأقدار، وتغلب حال الليل والنهار [٣] مما يفضى لقارئها العجب، وتميل أعطافه من الطرب، وطرزتها ببعض آيات شريفة من الكتاب الكريم،

---

* عام ١٠١٧هـ / ١٦٠٨ / ١٦٠٩م.

وأحاديث شريفة الواجبة القبول والتعظيم ، ونكات لطيفة ، واستطرادات ظريفة ، بعضها بالمشاهدة ، وبعضها بأخبار الثقاة طلبا للفائدة ، وسميتها « بلوغ الأرب ، برفع الطلب » ، والله سبحانه وتعالى أسأل اتباع سلوك الحق ،والهام طريق الصدق ، إنه ولى ذلك ، والقادر عليه ، وفى الحقيقة فالكل منه وإليه ، لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، قال الله جل ذكره ، وتقدست أسماؤه ، « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض»[1] وقال تعالى : «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم»[2]. وقال تعالى : [٤] «ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم»[3] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياأيها الناس اسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبداً حبشياً » والأحاديث فى معنى ذلك كثيرة ومن المعلوم أن مصر المحروسة خير بلاد الأرض على الاطلاق ، وجندها خير أجناد الأرض ، وسلطانها أعظم السلاطين وأبهى الملوك وأفخمهم، وكفاه مجداً وشرفاً خدمة الحرمين المحترمين، وأهلها أرق الناس طباعا ، وأكثرهم فضيلة واتضاعا ، لما جاء فيها وفى ساكنها من الآثار ، والفوايد والأخبار . منذلك مارواه[4] عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أنه قال ، حدثنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جنداً كثيفاً » وقال: «إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط ،فاستوصوا بأهلها خيراً ، وفى الأخبار أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم[٥] عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها ، وبحارها وأنهارها ، وعامرها

---

(١) سورة المائدة ، آية ٣٣.

(٢) سورة النساء ، آية ٥٩ ، وصواب الآية «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم » .

(٣) سورة النساء ، آية ٩٣ .

(٤) فى النص تعبير « أمير المؤمنين » وعليه شطب فحذفناه .

وغامرها ، ومن يسكنها من الأمم ، ومن يمالكها من الملوك ، فلما رأى إلى مصر رأى أرضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة ، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لايخلو من نظر الرب إليه بالرحمة ، فدعى آدم عليه السلام فى أرضها بالبركة ، وبارك فى نيلها سبع مرات ، وكان آدم عليه السلام أول من دعى لها بالبركة والرحمة والخصب والرأفة ، ثم دعى لها بعد ذلك نوح عليه السلام، فأثارت دعوتهما فيها البركة،وقال عليه الصلاة والسلام « مصر كنانة الله فى أرضه من أراد لها بسوء قصمه الله » ، وأخرج الطبرانى وغيره من حديث أبى بكرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الوالى العادل المتواضع ظل الله ورحمته فى أرضه [٦]فمن نصحه فى حقه وفى عباد الله حشره الله تعالى فى ظله يوم لاظل إلا ظله ، ومن غشه فى نفسه وفى عباد الله خذله الله تعالى يوم القيامة» ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها » . وأخرج الزبيرى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلساً إمام عادل ،وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه مجلساً إمام جاير » ، وأخرج الزبيرى أيضا من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السلطان ظل الله فى الأرض فإذا عدل كان له منى الأجر وعلى الرعية الشكر ، ثم إذا خان كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر » ، وقال عمرو بن مرة لمعاوية يوما سمعت رسول الله [٧] صلى الله عليه وسلم يقول « مامن إمام يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة، إلا أغلق الله تعالى أبواب السماء دون حاجته ، وخلته ومسكنته » ، وروى اليزيدى وأبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين واحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله

تعالى دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة »[1]، وعلى ماذكرناه فإنه يجب على عامة الرعية إمتثال ولى أمرهم والانقياد لطاعته بهذا ، وليس يخاف أن الديار المصرية والقاهرة المعزية ، محروسة بحمد الله تعالى ومحمية ببركة الأولياء والأصفياء والصالحين ، والعلماء العاملين ، أيمة الدين ، وبالجبل المقطم الذى ساحته غراس إبل الجنة عن يقين ، ليس لها فى مصر الأمصار نظير يشهد بذلك المسافرون[2] ، وكل من أراد لها سوءاً انقلب عليه ، وصار [٨] وباله إليه ، وهى الآن فى غاية العمار والاطمئنان و أهلها راتعون فى نعم الله تعالى فى دولة حضرة مولانا السلطان[3] وخصوصاً فى زمن متولها الآن[4] ، داعون له بطول الأعمار ، أناء الليل واطراف النهار ، وأن يديمه بالقطر المصرى مادام الفلك الدوار ، وقد كانت قبل هذا الأوان قد اختل أمرها ، وضاقت معيشة أهلها ، لما كثر شرها ، وحصل ضرها ، وضعفت فلاحيها وخربت قراها ، وانفصمت عراها ، وانقلبت أحوالها وتعطلت غلالها وأموالها ، لما أراده الله سبحانه وتعالى فى القدم ، إبرازها من الوجود إلى العدم ، وخراب البلاد . وهلاك العباد ، وجـــلاء الفلاحين وإهانة الشرع المبين ، واتسع الخرق ، وزاد الحرق ، وكان ذلك كله بسبب قيام طايفة من جند مصر المكتوبين مع الكشاف فى نواحى الأرياف أظهروا العناد ، وسعوا فى الأرض الفساد ، وأحدثوا [٩] شيئاً[5] يسمى

---

(١) بخصوص جميع الأحاديث المذكورة فى النص ، انظر ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، عن الكتب الستة وعن مسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل « رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ، ونشره الدكتور أ . ى . ونسنك ، أستاذ العربية بجامعة ليدن ، ليدن ١٩٣٦ ، حيث أوردها جميعاً منثورة فى هذا المعجم كل فى موضعه .

(٢) فى الأصل « المسافرين » .

(٣) السلطان أحمد الأول تولى السلطنة (١٨ رجب ١٠١٢ — ٢٣ ذى القعدة ١٠٢٦هـ / ٢٢ ديسمبر ١٦٠٣ — ٢٢ نوفبر ١٦١٧م)

(٤) يقصد محمد باشا (٧ صفر ١٠١٦ — ١٨ جمادى الثانية ١٠٢٠هـ / ٣ يونيو ١٦٠٧ — ٢٨ أغسطس ١٦١١ م)

(٥) فى الأصل « شىء » وصحتها « شيئاً » .

«الطلبة» على الفلاحين ، وصاروا يضاعفونها فى كل سنة من السنين ، إلى أن زادت على أموال المقاطعة[1] ، هذا ولم يقدر أحد على المدافعة ، وعمت وطمت وزاد خبثها وعمت ، وذلك خلاف ماصدر منهم من الأمور الشنيعة ، والفعايل الخارقة البشيعة من ارتكاب الزنا واللواط بالمرد جهاراً ، وافتضاض الابكار نهاراً ، وصاروا لايتناهون[2] عن منكر فعلوه ، ولا يأتمروا بأمر ولاتهم وكشافهم فيما فعلوه ، وصار لهم اسمطة وأطعمة غالية المقدار ، زايدة الافتخار ، تحمل إلى خيامهم أثناء الليل وأطراف النهار ، وتهديد الكشاف بالقتل إن قصروا عن ذلك ، ويسلكون بهم أسوأ المسالك ، والمسلمون معهم فى أمر مريج ، معوج غاية التعويج ، وقد صار أرذل الجند عندهم مقلداً بالسيوف المسقطة ، والسروج المذهبة المنقطة والخيول المسومة ، والعدد [١٠] المقومة ، والأولاد الجميلة المزينة ، والنعمة الظاهرة المبينة ، فإذا وجدوا ولداً مع والده اغتصبوه وأخذوه ، وتبعوه ورصدوه ، مع الفسق بنساء الفلاحين ، وافتضاض بناتهم الابكار ، وسلب مامعهم من الدثار ، وغير ذلك من الأشياء المنكرة ، والحوادث ، الشنيعة المبتكرة ، وغير ماسنذكره من الوقايع والدواهى الفظايع وذلك فى ثانى شهر شوال المكرم سنة ٩٩٧[3] زمن ملك الأمراء المرحوم

---

(١) سبق التعريف بضريبة الطلبة عند نشر مؤلف محمد بن أبي السرور البكرى « كشف الكربة فى رفع الطلبة » ، ص ٣١١ ، المجلد الثالث والعشرون ، المجلة التاريخية المصرية ، ١٩٧٦م .

أما المقصود بأموال المقاطعة ، الأموال الأميرية التى كانت مقررة على القرية أو الناحية ، التى كانت تعرف فى تلك الفترة بالمقاطعة ، وذلك قبل تطبيق نظام الالتزام فى جباية الضرائب فى مصر ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م

انظر عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، ص ص ٧١ – ٧٥ .

(٢) فى الأصل « يتناهوا » وصحتها « يتناهون » .

(٣) ١٤ أغسطس ١٥٨٩ م .

أويس باشا كافل المملكة الإسلامية ، بالديار المصرية ، دامت عليه رحمة خير البرية ، ركب العسكر المصرى وهجموا عليه فى الديوان الشريف ، وحقروه حقارة زايدة بحيث أن أحدهم دخل إلى محل حرمه ، وأخذ له ساعة مثمنة ، وسيفا مثمنا جداً[1] بأنواع الفصوص وقوسا[2] وضربوا ثلاث ختمات شريفة بالسيوف ، فوسطوهم نصفين ، وفرول منهم وقد قتل (فى)[3] ذلك اليوم ثلاثة أنفار من أتباعه ودخلوا [١١] إلى بيت مولانا شيخ الإسلام ملا أحمد أفندى الأنصارى ، قاضى القضاة بمصر المحمية إذ ذاك ، وقطعوا رأس عثمان باش الجاووشية فى ذلك النهار بمرأى منــــه ، ثم قبض على فخر الأماثل على بن القاق ماتزم الغربية ، والقاضى محمد شمس الدين بن زحاق ناظر الحرمين الشريفين ، فى يوم الأربعا رابع الشهر المذكور[4] وسجنوهما بالعرقانة وفى صبيحة يوم الخميس خامسه[5] أنفذوا حكم الله تعالى فيهما بأن قطعت رؤسهما فى الديوان وعلقتا بالجيزة فى الرميلة وضرب رأس شخص من الجاووشية يسمى أحمد جاوش بيضة ناعمة بباب زويلة ، وهرب الأمير أحمد العادلى أياما ، وكذلك الأمير مصطفى أمير الحاج الشريف فى تلك السنة ، وطاب سفرة حسن المقاطعجى وابن العادلى المذكور ، والسملاوى المباشر[6] ، وقفلت الحوانيت ، ونهب بعض أسباب الناس ، وقتلوا غلام الأمـــير الصوباشى ، وضجوا العسكر وبضعوا [١٢] بأولاد العرب من أخذ خيولهم وعمايمهم وأولادهم ، وما وجد معهم من الجوخ والملبس الحسن أخذوه ، ونادى مناد[7]

---

(١) فى الأصل « سيف مثمن » .

(٢) فى الأصل « قوس » .

(٣) أضفت حرف (فى) لتوضيح المعنى

(٤) ١٦ أغسطس ١٥٨٩ م .

(٥) ١٧ أغسطس ١٥٨٦ م .

(٦) فى كشف الكربة : والقاضى بدر الدين السملاوى .

(٧) فى الأصل « وناد وا مناد » .

أن أولاد العـــرب لا يستخدمون مماليكا بيضا ، وأن اليهود والنصارى لا يستخدمون[1] جواراً ولا عبيداً ، والكشف عليهم بعد ثلاثة أيام ، وأن أولاد العرب لا يتزيون بزى الاروام[2] ، وصاروا يجتمعون طوايف طوايف ، ويذهبون إلى منازل أصحاب المناصب من أولاد العرب ، فيضربون بالبندق ، ويدخلون فى وكبة عظيمة ، فيأخذون[3] من كبير المنزل ، ماأرادوه بالقول ، وإلا يبطشون به ، وخلص من أذاهم وشرهم القاضى زين العابدين أمين ديوان المحاسبات بالديار المصرية بالبلص الكثير لساير فرقهم ، وهرب منهم الشيخ العلامة محيى الدين الغزى الحنفى لـكلمة بلغتهم عنه ، ورصدوا منزله مراراً ليقتلوه ، وما نجاه إلا الهروب من المنزل ، وجماعة أخر أغلقوا منازلهم وصاروا يعاملونهم [١٣] بكسر الأبواب ، وحضر مولانا أفندى المشار إليه يوم الأحد ثامن شوال[4] هو والأمير الدفتردار ، يوميذ ، وقاضى مكة المشرفة ، وفخر الأماثل والأفاضل محمد جلبى يغلى زاده كاتب الديوان ، إذ ذاك ، والعسكر جميعاً بمدرسة مولانا السلطان السعيد الشهيد السلطان حسن طاب ثراه ، بعد أن وعظ العسكر مولانا فخر العلما عمدة الفضلا شمس الدين محمد التى برمق ، زيدت فضايله ، وأعطى حضرة مولانا أويس باشا بيورلديا شريفا[5] لقاضى مصر أنه مهما طلبوه العسكر يفعل لهم ويخلصه من أيديهم ، وقد عاثوا وتمردوا ، وزادو فى طغيانهم وضربهم بالبندق ، فى الديوان العالى ، واشهروا السلاح ، وهجموا بالخيول إلى مجلس الحكم الشريف وأخربوا

---

(١) فى الأصل « لا يستخدموا » .

(٢) فى الأصل « يتزاوا » والمقصود بالأروام الأتراك .

(٣) فى الأصل « فيأخذوا » .

(٤) ١٩ أغسطس ١٥٨٩ م .

(٥) فى الأصل « بيورلدى شريف » .

الرفوف ، أوخذوا ولد مولانا أويس باشا المومى إليه[1] ، رهينة على بعض أشياء ، يفعلها لهم ، وكتب محمد جلبي المذكور حجة بين الفريقين [١٤] بأشياء على قدر مرادهم ، وما سلم أويس باشا من القتل إلا طول أجله ، وتوفى عند حلول أجله بالديوان المصرى ، تغمده الله تعالى برحمته ، وفى هذه الواقعة يقول مولانا العلامة عبد الواحد البرجى زيد فضله :

قد أصبح العالم فى حصر　　فعجل اللهم بالنصر
فمصر قد أوبقها أصرها　　ومن له صبر على الإصر
ياصاحبي الأمر مستفحل　　قفا نبكى على مصر

وقال الشيخ الأديب عبد المنعم المساطى فى هذه الواقعة :

موالا[2] مؤرخاً

نظام مصر العزيزة قد غدا مخروم
وصار من رزقها القاطن بها محروم
وذل فيها العزيز الفاضل المكروم
لما بتاريخها جارت عليها الروم

سنة ٩٩٧[3]

(١) كتبت فى الأصل عبارة «هو محمد جلبى» وهو خطأ حذفناه ، حيث أن محمد جلبى، كما يتضح من النص ومن مؤلفات ابن أبى السرور ، هو كاتب الديوان العالى ، وليس ابن أويس باشا .

انظر : محمد بن أبى السرور ، كشف الكربة ، ص‌ص ٣١٧ — ٣١٨ ، النزهة الزهية، ص‌ص ٥٧ — ٥٩ ؛ المنح الرحمانية ، ورقة ٦٢ .

(٢) فى الأصل « موال » .

(٣) ١٥٨٩ م .

ثم فى أواسط شهر رجب المرجب سنة ١٠٠٦[١] ست وألف اجتمع جماعة من العسكر من ساير [١٥] الأقاليم ، وحضروا إلى مصر[٢] ، زمن حضرة مولانا السيد الشريف محمد باشا ، بالديار المصرية دامت عليه نعم رب البرية ، فوجدوا مولانا الباشا المشار إلى حضرته فى الربيع[٣] ، وكان متحفظاً منهم ، وكان معه طايفة من العرب ، هم الأمير مقلد ، وعطا الله ، وابن الخبير وغيرهم ، كل واحد منهم فى خيمته وقد ركب شخص من أماثل جاووشية الأبواب العالية الخنكارية يدعى دالى محمد ، وكان معظما فى نفسه مهابا عند الحكام ، فى جماعة كثيرة ، وكل واحد من الأمرا المحافظين بمصر إلى أن نزل من الربيع ، إلى أن وصل إلى الرميلة ، فاجتمع العسكر المذكور بالرميلة وأخذت الرءوس فى الحرب ، فقصد مولانا صاحب السعادة الصوة فقاطعوا عليه العسكر واحتاطوا به ورموا بندقاً كثيراً ، وطايفة الينكجرية ينحوا الطايفة عنه ، وهم يسبونه وقد حاصروه مقداراً من النهار ، وطلبوا منه الدالى محمد المذكور [١٦] والأمير محمد الجلاد ، وصوباشى مصر ، والأمير مقلد ، والأمير جعفر رفضى اغاة الجاووشية ، وداود أغا الصغير ، وابن السكرى ، وجماعة آخر ليقتلوهم فأجابهم إلى ذلك ، وطلب المهلة ثلاثة أيام ، فصار كل منهم يزعق بأعلا صوته ، شرع الله ، وطلبوا قاضى العسكر بمصر[٤] ، ليحكم بينهم بمدرسة مولانا السلطان حسن ، فأجابهم إلى ذلك فتوجه طايفة منهم إلى المدرسة فهمز حضرة مولانا الباشا بفرسه من باب السلسلة ، وفر ، وترك ولده

---

(١) فبراير ١٥٩٨ م .

(٢) فى الأصل كتبت عبارة « فوجدوا حضرة » ثم شطبت .

(٣) تولى ولاية مصر $\frac{\text{٢ شوال ١٠٠٤ — ١٢ ذى الحجة ١٠٠٦ هـ}}{\text{٣٠ مايو ١٥٩٦ — ١٦ يوليو ١٥٩٨ م}}$

(٤) هو عبد الرءوف الشهير بعرب زاده ، انظر محمد بن أبى السرور ، النزهة الزهية ، ص ٦٢ ؛ كشف الكربة فى رفع الطلبة ، ص ٣٢٠ .

وكتخداه فمسكوهما وسلموهما إلى مولانا حسين باشا بأقليم الحبشة يوميذ[1] ، ونخر الأمراء الكرام ، عمدة الكبرا الفخام الأمير بيرى بك أمير الركب الشريف الحجازى ، ولم ينزجروا بعد ذلك ، ولم يرجعوا عن فعايلهم الخبيثة وتوجهوا إلى منزل الدالى محمد بقناطر السباع ، فعاركوه وعاركهم ساعة طويلة وقد قتل من الطايفتين نحواً من عشرة أنفس ، فلما كثروا عليه فر [١٧] هارباً إلى داخل منزله وكان بكوشك مشرف على مأذنة الجامع بالمحكمة[2] ، التى هناك فخرر بعضهم عليه من المأذنة المذكورة ببندقة فلم تخط رأسه ونفدت إلى الجانب الآخر ، وأطلقوا النار فى باب بيته وهجموا عليه ، دفعة واحدة فقتلوه وقطعوا رأسه وعلقوها بباب زويلة ، ونهبوا جميع ما فى منزله من العدد والأسلحة والخيول والملبس والتحف وغير ذلك ، وصادفوا نخر الأمرا ، الأمير محمـــد عشى باش بك[3] أمير اللوا الشريف بالرميلة ، وهو طالع إلى الديوان الشريف فهجموا عليه وقتلوه وقتلوا مقدم مصر يوميذ ، وضربوا شخصاً يدعى محمد المغربى من أتباع مولانا فخر القضاة محمد أفندى رفاعى زاده بالثغر الرشيدى كان ، وهو فى طبقة بالقرب من الغورية مع أستاذه فطلعوا إليه وقتلوه فى حضن أستاذه وتتبعوا جماعة من أولاد العرب المتزيين بزيهم فقتلوهم ، وقفلت محاكم مصر وهرب الأمير مقلد [١٨] وداود أغا وابن

---

(١) يذكر ابن أبى السرور فى مؤلفاته أن اسمه « حسن باشا المدعو بالسكران بكلربكى الحبشة يومئذ ، وليس حسينا ، وربما كان تحريفاً من المؤلف ، حيث أننا نميل الى رأى ابن أبى السرور ، والمقصود بالحبشة ، ولاية جدة ، انظر : كشف الكربه فى رفع الطلبة ، ص ٣٢٠ ، النزهة الزهية ، ص ٦٣ .

(٢) المقصود بها محكمة قناطر السباع التى كانت تقع بحى السيدة زينب ، وبها مدرسة البردكية .

(٣) يذكر أن أبى السرور أن اسمه « الأمير محمد الشهير باشجى محمد بيك ، انظر كشف الكربة ، ص ٣٢١ .

انظر : كشف الكربة ، ص ٣٢٠ ؛ النزهة الزهية ، ص ٦٣ ،

السكرى والمطلوبين كلهم ، ومحمد الصوباشى ، وولوا كشافا بالاقليم وصوباشى بمصر ، وكان عند طلبهم الشرع ، وطلبهم هؤلاء ، هب ريح عاصف[1] من قبل الله تعالى وثار الغبار وأظلم النهار فأرسل له كتخدا العزب هو[2] أن يتقدم ويدخل من باب العزب ، فهمز ودخل الباب وأغلق بعد دخوله ، ومنع من يدخل من العسكر ، فلما أن دخل إلى الحوش ، ونزل عن جواده ووضع رجله على الدرجة الأولى ، داس على ذيل قفطانه من شدة الدهشة فمال لها فعندما مال من ذيل القفطان جاته بندقة ففاتت راسه بدوسه على ذيله وميله ودخلت فى الحائط ، وهى إلى الآن أثرها موجود فى الحايط ، على يسرة الطالع للمقعد الصغير ، إنشا مولانا الملك السعيد الشهيد السلطان قايتباى سقى الله ثراه[3] ، والسلم المذكور (حادث)[4] بناء المرحوم محمود باشا بالديار المصرية كان[5] ، وكان ذلك سبباً لنجاته وسلامته [١٩] ولما أن كان يوم الأحد عشرين رمضان المعظم سنة تسع وألف[6] ، فى دولة مولانا أمير الأمر آخضر باشا الوزير[7] ، كافل المملكة الإسلامية بالديار المصرية سابقاً ، طلع العسكر هم وقاضى مصر يوميذ ، وطلبوا كتخدا الوزير المشار إليه المدعو بهرام لدعاوى شرعية بسبب الشونة وبعض أمور احتجوا بها، وكان فى ذلك الوقت عند حضرة مولانا الباشا ، فنزل من باب السكلار ، وهو متوجه إلى أن وصل إلى نوبة خانة الجاووشية فتعدوا عليه ، ووضعوا فيه السيوف وقتلوه ، وفعلوا بحسين الترجمان كذلك ، وقتلوا

---

(١) فى الأصل « ريحا عاصفا » .

(٢) بياض بالأصل ، ولم تذكر المصادر التى رجعنا إليها اسم كتخدا العزب هذا . انظر كشف الكربة ، ص ص ٣٢٠ — ٣٢٢ .

(٣) من سلاطين دولة المماليك الجراكسة تولى السلطنة ١٤٨٦ - ١٤٩٦م .

(٤) أى مستجد فى البناء .

(٥) تولى ولاية مصر ٩٧٣ — ٩٧٤هـ / ١٥٦٥ — ١٥٦٦ م

(٦) ٢٥ مارس ١٦٠١ م .

(٧) تولى ولاية مصر ١٧ ذى الحجة ١٠٠٦ — ١٥ محرم ١٠١٠هـ / ٢١ يوليو ١٥٩٨ — ١٦ يوليو ١٦٠١م

المعلم يوحنا النصرانى النبـــلاوى المباشر ، وقطعوه قطعاً ، وطافوا برأس الـكتخدا المذكور وعلقوها بباب زويلة ، وتوجهوا إلى بولاق القاهرة وقتلوا بها من[1] وجدوه من خزان الغلال ، وعاثوا وبغوا وطغوا وفعلوا فعايل خارقة من نهب الأموال والأولاد ، والأمر إلى الله سبحانه وتعالى [٢٠] ثم ما هو أعجب وأغرب ، مافعلوه بعد ذلك من الداهية العظما ، والواقعة الدهما التى لم يسمع فى هذا الأوان بأغرب منها ولا أعجب ، ولا أبشع فعلا ولا أشنع ذرفت منها العيون ، وتفتت القلوب ، وخابت الظنون ، فى سنة ١٠١٣ فى يوم الجمعة المبارك سلخ ربيع الثانى[2] قبيل صلاة الجمعة وذلك أن حضرة مولانا ، الجناب العالى ، الراقى رتب المعالى أمير الأمرا ، حضرة مولانا الوزير ابراهيم باشا[3] ، بمصر المحروسة تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جنته ، لما توجه إلى ناحية شبرا لقطع سد قناطر أبى المنجا ، زمن النيل السعيد ، فى موكب عظيم من القاهرة المحروسة المنصورة إلى ساحل بولاق نزل فى المركب وتوجه إلى الناحية المذكورة ، وجلس فى دولاب حضرة مولانا أمير الأمرا الـكرام ، كبير الـكبرا الفخام ، ذو القدر والمجد والاحتشام ، المتمسك بلطف رب العباد ، مولانا الوزير الأعظم مراد باشا أعطاه الله تعالى من العز والعظمة [٢١] والسعادة والسيادة ماشا ، وفى هذا اليوم المذكور توجه جميع العساكر المصرية الأشقيا المذكورين[4] بمعاونة من الأمرا والمتفرقة والاسباهية والجاووشية ، إلى القرافة الشريفة على ما قيل ، وتحالفوا على قتل مولانا الوزير إبراهيم ، وباتوا على ذلك ، وبات مولانا الوزير فى الدولاب المذكور ثم فى صبيحة يوم السبت مستهل

---

(١) فى الأصل (ما) .

(٢) ٢٤ سبتمبر ١٦٠٤ م .

(٣) تولى ولاية مصر ١٤ ذى الحجة ١٠١٢ — جماد أول ١٠١٣ هـ / ١٤ مايو ١٦٠٣ — ٢٥ سبتمبر ١٦٠٤ م

(٤) فى الأصل « المذكورون » .

شهر جمادى الأول من تلك السنة[1] توجهوا بقضهم وقضيضهم ، وأتباعهم ولفيفهم إلى ساحل بولاق، لملاقاته وهم بالسلاح الكامل ، والعدة الوافرة ، واستمروا هنالك إلى آذان الظهر ، فبلغهم الخبر أن حضرة الوزير جالس بالدولاب المذكور فافترقوا فرقتين ، فرقة مكثت فى بولاق ، وفرقة توجهت إلى الدولاب المذكور ، وهم بأهبتهم الكاملة غارقين فى أسلحتهم ، إلى أن وصلوا إلى الدولاب ، توصل إليه الخبر أن العسكر حضر جميعه وهو فى غاية الشدة والصلابة وطلب الشر ، وقد حضر اليه بعض الصناجق [٢٢] وقال له يا مولانا قم واركب بنا فى المركب قبل أن يتلاحق بنا العسكر ، وتوجه إلى القاعة المنصورة خفية وإذا طلعت بسلامة الله تعالى ، افعل ماتختاره وترومه ، فلم يلتفت إلى ذلك الكلام بل وأغلظ على قايله ، ولعمرى أنه كان رأيا صالحاً ، لو فعله ، ولكن إذا نزل القضاء عمى البصر :

ولقد صدق من قال :

إذا أراد الله أمراً بأمرءٍ وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذناه وأعمى قلبه وسلَّ منه عقله سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه رد عليه عقله ليعتبر
فلا تقل فيما مضى كيف مضى فكل شىء بقضاء وقدر

واستمر جالساً فى مكانه بقصر الدولاب وعنده من أمراء الصناجق ، فخر الأمرا الأمير عثمان بيك [٢٣] العثمانى . والأمير بايزيد بيك ، والأمير محمد بيك ابن خسرو ملتزم مقاطعة الثغر السكندرى والبحيرة ، والأمير درويش محمد بن عثمان أفندى قاضى القضاة هو بمصر سابقاً ، وحضرة مولانا شيخ

---

(١) ٢٥ سبتمبر ١٦٠٤م .

مشايخ الإسلام مصطفى أفندى عزمى زاده ، والأمـــير الدفتردار ، وبعض صناجق أخر . ومن الجاووشية والمتفرقة مالا يحصى،فطلع من الجند الأسباهية خمسة عشر نفراً(١) إلى القصر وهم متسلحين بسيوفهم إلى أن وقفوا عندهم فى شدة الغضب والتلهب . فلما رآهم على هذه الحالة قال لهم كلاماً لطيفا(٢) « ايش مرادكم ياعسكر السلطان أنا ما أعطيتكم علوفاتـكم كاملة مع ترقياتكم وأعطى لكل شخص منكم ثلاث عثامنة(٣) أيضاً » فقالوا له نحن مانريد إلا روحك ، فلما رآهم مصممين على ذلك ، وأنهم لايريدون إلا البطش به ، تشهد وقام على أقدامه فضربه شخص منهم بالسيف على وجهه فسقط إلى الأرض،والذى ضربه أولا أحقر الطايفة ونزلت عليه السيوف من كل جانب منهم وقطعوا [٢٤] رأسه ثم إن الأمير محمد بن خسرو المذكور لما رأى ذلك ، قام على أقدامه ، وقال حاس ياطايفة ، هذا ماهو مايح تقتلوا وزير السلطان ، فقالوا له أنت هنا يافاعل ياتارك ، ثم ضربوه بالسيوف أيضاً ، وألحقوه به ، هذا والعسكر تحت القصر يتماوج كما يتماوج البحر ، فى شدة هيجانه واضطرابه ، يكاد يأكل بعضه بعضاً ، وإذا بالرءوس أخرجوها لهم من الشباك فسكن الاضطراب يسيراً ، ثم إنهم نزلوا بالرأسين إلى أسفل القصر ، وأما الأمير عثمان فإنه قد توارى وكذلك كل من كان فى المجلس من الأمرا ، وقتل أيضاً من الينـكجرية ثلاثة أنفار ، وأخذوا الرأسين على رمحين ، وطافوا بهما البلد وهم ينادون(٤) عليهما هذا جزاء من أفتن من عسكر السلطان،ثم أتوا بهما وعلقوهما فى باب زويلة على أسقيفةهناك فباتا عليها إلى ثانى يوم ، بعد طلوع الشمس ، فسلموا الرأسين فدفنا مع جثتهما [٢٥] وأصبح الناس جميعاً فى غاية التـكدر والاضطراب ، والتشويش لعدم

---

(١) فى الأصل « نفر » .

(٢) فى الأصل « كلام لطيف » .

(٣) نوع من العملة العثمانية كانت مستعملة فى ذلك الوقت مفردها عثمانى .

(٤) فى الأصل « ينادوا » .

من ينظر إلى أحوال الناس ولهول هذه الواقعة الغريبة ، وقد قيل إنهم ذهبوا للأمير عثمان بيك،وسألوه أن يكون قايم مقام فأبى ، وامتنع فأبرموا على مولانا مصطفى أفندى وجعلوه قايم مقام ، وقالوا له أنت قاضى ذلك القطر وأنت أحق، وكذلك أرباب الدولة أيضاً ، وجعلوا الأمير ناصف سوباشى ، والأمير أحمد ابن الدمرداشى دويداراً ، والناس فى أمر مريج ، ونسأل الله تعالى العافيـة واللطف فى القضا وأن يسلمنا فى شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه كريم رحيم ولقد قلت :

مصر لك الله لقد أصبحت — يبكى عليها بالدموع الغزار
عن حالها حالت وقد أصبح الـ — حال بها فى شغل قلب أحار [٢٦]
فلا رجاء لا ولا مأمنـاً — كلا ولا جار به يستجار
ولا أمير بامرء مشفق — أعان عان راج أجار
ولا ولى يتولى إذا — كشف من الله لدفع الآصار
فمن لذى محنـة أو شـدة — ذو غيرة أو منقذ من عثار
إلا وزيراً كف عن ربقة الـ — أسر رعاياه وعنـا وجار
فالهجرة الهجرة من مصر لا — مقام فيها والفرار الفرار
ليس لها كاشفة دونه — برحمة تدرك ذى الاختيار
فالغوث الغوث منك الرجا — أنت ملاذى أنت والمستجار
وصـل يارب على المصطفى — وآله والصحب أهل الوقار

وتم الأمر على هذا الحال من تقلب الأحوال [٢٧] وكثرة الأهوال وركوب الأخطار وسلب الأموال[1] (ومما وقع فى زمن أمير الأمرا مولانا

---

(١) النص الموضوع بين القوسين (— —) كتب على هامش الصفحة رقم ٢٧ وأشير إلى وضعه مكان النص التالى من الصفحة بعد شطبه ، والنص المشطوب هو « وكل من ورد بعد ذلك من البكلاربكية إلى ديار مصر المحمية ، منهم من يأخذهم بالملاطفة ، وعدم المجانفة ، ويهمل أمورهم ولا يفتش على ما يفعله جمهورهم ، ومنهم من يأخذهم بالسياسة ، ويقطع رءوس رءوسهم ، ويخمد أنفاسه فى الخفاء لا الظهور ، ويظهر أنه لم يعارضهم فى أمر من الأمور » .

محمد باشا الخادم البكلربكى بالديار المصرية[١] فإنه عند وروده إلى مصر حضر إليه من الأعتاب الشريفة جاشنكير راس الجاشنكيرية ورئيسهم ومعه خطا همايونيا وأحكاما منيفة[٢] لجمع الصناجق والعساكر بالديار المصرية بسبب الطلبة وأصلها وإبطالها وعن سبب قتلة مولانا الوزير إبراهيم المقتول ظلماً ، ومن قتله وقد اجتمعوا كلهم فى قرة ميدان ، وكذلك فخر الأفاضل مولانا محمد أفندى التى برمق فذكر مولانا محمد باشا أنه لم يعرف أصل ذلك ولا سببه فإن ذلك لم يكن فى زمنه وأن الخط ليس له ، وإنما لأمرآ مصر وأغواتها وعساكرها ، وأبى أن ينزل من القلعة ، ونزل الجاشنكير بقرا ميدان ، واتفقوا على جواب ، وقفل الباب الكبير وفتح الصغير ، ووقف محمد أفندى المشار إليه هو وفخر الأكابر الأمير على الهلالى كتخدا الطايفة الجاووشية وبيدهما مصحف شريف وهما ناحيتى الباب وكل من طلع من العسكر يحلفوه على أنهم على كلمة واحدة وأنهم يحضروا المطلوبين من المفسد منهم ، وأنهم لا يحصل منهم فساد لأحد من الرعايا ، ولا يخرجوا عن كلام الملك ولا نائبه ، وذلك بعد مجالس وأيمانات سابقة ، لم نذكرها خوفاً من الإطالة ، ثم إن مولانا محمد باشا قطع منهم طايفة بالروية وحسن التدبير شيئاً فشيئاً ، وكل من ظفر به منهم تلطف به وأرسله المشبك[٣] ولم يزدد[٤] والأمر بعد ذلك إلاشدة) فلما انتشرت هذه الأخبار الموحشة ، والأفعال المدهشة ، وطرقت سمع حضرات السلطنة الشريفة ، والسدة الخاقانية المنيفة . سلطان سلاطين الزمان ، وخاقان خواقين العصر والأوان ، وخليفة الله الأعظم فى أفراد بنى الإنسان ، ثالث العمرين صرامة وحزماً من

---

(١) تولى ولاية مصر (غاية رجب ١٠١٣ — غاية صفر ١٠١٤ هـ / ٢٢ ديسمبر ١٦٠٤ — ١٦ يوليه ١٦٠٥ م) ، ويعرف باسم محمد باشا الكورجى .

(٢) فى الأصل « ومعه خط همايون وأحكام منيفة » .

(٣) المشبك = السجن .

(٤) فى الأصل « يزداد » .

ملوك آل عثمان . ظل الله الممدود على كافة أهل الإيمان ، وسيفه المسلول بيد القهر على أهل البغى والعدوان ، قاتل [٢٨] الكفرة والمبتدعة وساير حزب الشيطان القايم بفرض الجهاد لأعلاء كلمة الله تعالى وإذلال أهل العصيان ، لم تكتحل أعين الزمان ، بمن يوازنه أو يوازيه ولاتنظر أحداق النجوم مع كثرة دورانها حول السماء والأرض من يساميه أو يساويه ، صاحب الإمامة العظمى والسلطان الباهر ، وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر ، مرغم أنوف الفراعنة كاسر تيجان الأكاسرة ، قاصر قصور القياصرة ، هازم جنود الطغاة البغاة وجيوشها ، هادم حصون الكفرة فهى خاوية عن عروشها ، اسكندر الزمان ، الذى نصر محمداً صلى الله عليه وسلم وأكبت له عدا ، وأذل من استطال بجهله على شريعته وعدى ، وصان الإسلام والمسلمين بجهاد الكفرة والملاعين ، وأزال الجور عن الأمة ورد عنهم كيد الكائدين سلطان الحرمين ، حامى القبلتين ، ملك البحرين ، ملك جهان ، ناشر علم العلم والإحسان ، [٢٩] جامع ذيول الأقطار ، فاتح البلاد والقلاع والأمصار ، مبيد الطغاة والبغاة والكفار ، المؤيد من السما ، المنصور على العدا ، مدبر البلاد بالعدل والإيمان ، ناصر الشريعة المحمدية بالفضل والأيمان ، ملك البرين ، والعرب والعجم والروم والترك والعراقين ، والشرق والغرب واليمن والحبشة والخافقين ، السلطان الأعظم الغشمشم والبحر القطمطم ذى الجيش العرمرم ، وواسطة عقد ملوك آل عثمان ، ذى البذل والإحسان ، المحفوف بمزيد عناية الملك الصمد حضرة مولانا السلطان الملك المعظم أحمد بن مولانا السلطان الأعظم محمد خان بن المرحوم مراد خان بن عثمان[١] ، اللهم أدم دولة عبدك هذا الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك ، سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والمحامى عن دينك والمدافع ، اللهم وعمر بدولته البسيطة ، واجعل ملايكتك [٣٠] براياته الشريفة محيطة ، اللهم ابق للإسلام

---

(١) تولى السلطنة ١٨ رجب ١٠١٢ — ٢٣ ذى القعدة ١٠٢٦هـ / ٢٧ ديسمبر ١٦٠٣ — ٢٢ نوفمبر ١٦١٧م

مهجته ، وأنشر فى المشارق والمغارب دعوته ، وافتح اللهم على يديه دوانى الأرض وقواصيها ، وملكه صياصى الكفرة اللئام ونواصيها ، فلاتلقاه منهم كتيبة إلا مزقها ، ولاجماعة إلا فرقها .

سل عنه وانطق به وانظر إليـــه   تجده ملء المسامع والأفواه والمقل

اللهم اشكر عن العالم وساير البلاد الإسلامية سعيه ، وانفذ فى المشارق والمغارب أمره ونهيه ، وأصلح له أوساط الفلاة وأطرافهـا وأرجاء الممالك وأكنافها .

فهو الذى دلت عليه الملاحم   بالشكل والصورة والعلائم

وفى المغنى

ملك إذا ضـاق الزمان بأهـله   بخلا توسع فى المكارم وانفسح
يكسو السحائب إذا تجارى كفـه   فالغيث من وجناتها عرق رشح [٣١]
ويكاد الأسد المصور بعدله   فى القفر أن يرعى الغزال إذا سنح

خلد الله ملكه وأعز أنصاره ، وختم بكل خير وسعد أعماله ، وقرن بالنجح والسعد أعماله ، وأجرى أحكام سلطنته فى أكناف أطراف الربع المسكون ماتعاقبت الأعوام والسنون ، وجعل الملك كلمة باقية فيه وفى عقبه إلى يوم القيامة ، ومنحه فى الدنيا والآخرة مايليق بجلاله من أنواع العزة والكرامة .

وهذا الدعاء لايرد لأنه   يزان به كل الورى والممالك
تراه بلا شك أجيب لأننا   إذا مادعونا أمنتة الممالك[١]

---

(١) فى كشف الكربة « الملايك » ، س ٣٣٠ .

أنعم بايالة مصر المحمية ، مع الوزارة العلية لحضرة مولانا وسيدنا الوزير المعظم ، والمشير المفخم ، والدستور المكرم ، ممهد أمور جمهور الأمم ، منصف المظلوم ممن ظلم ، نظام العالم ، رافع أثار الجور والفتن ، وقالع مآثر الظلم والأحن ، جواد لم يحتق الهلال إلا ليكون نعلا لحافر [٣٢] جواده ، ولا مدت الثريا أكفها الخضيب إلا للتمسك بذيل كرمه وإمداده ، ولا سلّ الصبح سيفه إلا قال الله أكبر على أعدايه ، ولا احمرت الشفق من الخافقين إلا حرمة لحرة خافق لوايه ، ولا أمطرت السحب إلا بكاء من خشية جلاله ، ولا استقرت البروق إلا خجلا من لمعان سيوفه ونصاله ، ولا تحلت الخناصر بالخواتم إلا لأنها تعقد عليه ، ولا كحلت العيون السود بسواد النور الباصر إلا لتتشرف بالنظر إليه ، ولا فتحت الدوى أفواها إلا لتنطق بمدحه ألسنة الأقلام ، ولا حبّر الحبر بياض الطروس بسود السطور إلا لتشير أن الليالى والأيام من جملة الخدام ، ليث عرين الوطيس بأساً وجأشاً ، حضـــرة سيدنا ومولانا الوزير المعظم محمد باشا[١] أنعش الله تعالى به بساط البسيطة انتعاشاً ، ولا زال عمود خيام هذا الدين القيم بعدالته الشريفة قايما ، وكلما نوت أعداؤه[٢] فعلا مضارعا [٣٣] كان سيفه له جازما ، وهو الذى قهر الأعدا من طوايف الأشقياء المذكورة أخذا بالنواصى ، وبدد شمل البغاة العصاة وفرقهم إلى الأقاصى ، وهو الذى من حل فى فنائه آمن من عوارض الفنا ، ومن استجار بجاه خلص من بوايق البلا ، ومن استظل بظل رأفته وجده ظايلا ، وهو الذى من قصد بابه ماخاب ، ومن لزم جنابه الشريف عاش وطاب ، وهو الذى دأبه إغاثة الملهوف وإسدا المعروف وهو الذى اصطفاه الله وزاده بسطة فى العلم والجسم ، وهو الذى منحه من المكرمات أوفى قسم :

---

(١) تولى ولاية مصر ٧ صفر ١٠١٦ — ١٨ جمادى الثانية ١٠٢٠ هـ / ٣ يونيو ١٦٠٧ — ٢٨ اغسطس ١٦١١ م

(٢) فى الأصل « أعداءه » .

ولو أن أشجار البلاد خلقن فى أقلام خط والمدادالاكثرا[1]
وأردت حصر فضايل جمعت له دون البرية كنت فيه مقصرا

ثم أوصاه حضرة مولانا الخنكار نصره الله تعالى علـى أهالى مصر والوصية التامة بهم ، ونشر [٣٤] العدل فيهم ، والشفقة والحنو عليهم ، ومعاملتهم بالعدل والإنصاف ، ورفع الجور والإعتساف ، وكان من معظم الوصية ، إبطال الطلبة ورفعها لاشتداد غضبه لأجلها ، وقلعها بالكلية ، ومن خالف وعاند وكابر وكايد ، قتل أشر قتله وأستبيح ماله بغير مهلة ، وهو مصغ لكل مايقول ممتثل لما برزت به الأوامر الخنكارية بغاية القبول ، وأعطاه بذلك خط همايون ، الذى هو بالسعادة مقرون ، فقضى إربه من القسطنطينية المحمية . ونزل فى السفن قاصدا ثغر الإسكندرية . فلم يزالوا سايرين بسلامة الله تعالى فى ذلك البحر الفسيح ، تارة بالكورك وتارة بالريح ، إلى أن لاح له الثغر المذكور ، وقد ازداد رفعة وحبورا [2] نخضعت الأعناق لدى المرأى المدهش . وانتعشت النفوس بذلك المنظر الشريف المنعش ـ فأى صـدر ماتزحزح عند رؤيته ، وأى قدر ماتضاءل عند مشاهدة [٣٥] عظمته ، وأى بدر ماغاب ، وأى شمس ماتوارى ضياؤها بالحجاب ، وقد تلقاه بالاستقبال من مصر المحروسة أكابرها وأعيانها ، وأمراؤها وأركانها وأرباب دولتها ، وهنؤه بالسلامة وقد حفت به الكرامة وقالت :

ته يا وزير البرايا منقـذ الأمم وأسعد وأبشر بنصر الله عن أمم
أضحى بعدلك هـذا القطر ملتما وهل بعدلك شمل غير ملتيم
يافاعل الخير طبعاً حيث لاكلف ومولى العرف فى مصر بلا سأم
قد أصبحت بك مصر بعد غربتها موصولة بكم لحما على وضـم

---

(١) فى كشف الكربة « الأبحرا » ، س ٣٣٢ .
(٢) فى الأصل « حبور » .

مكفولة أبدا منكم بخير أب   وخير بعل فلم تيتم ولم تيم
فالنيل بعد وقوف قد وفا وغدا   جار كبحر نوال منك ماتطم [٣٦]
بالشكر كل لسانى ناطق أبدا   محمد الخلق محمود بكل فم

واستبشر كل أهالى الثغر بطلعته ، ويمن غرته ، ونصب سرادقه العالى ، ورواقه السامى المتعالى ، بفيحاء الجزيرة الخضرا ، خارج ثغر الإسكندرية الغرا وقد حفت به جنود النصر والإقبال ، وتطأطأت للثم تراب أقدامه جباه الأقيال وأحدقت بأطناب مخيمه الكماة والأبطال ، وحصل من حضرته لهم إنعام عام لمن حضر من العسكر السلطانى فى ذلك المقام ، وزاد كل واحد من العسكر فوق ماتايق به من الترقى من عثمانى فأزيد ، ولم يحرم أحدهم من الأنعام ، ونالوا جميعاً ما أرادوه من المرام ، ونظر فى أحوال الأمم ، وأنصف المظلوم ممن ظلم ومن جملته أنه خلص جملا من شخصين جنديين أخذاه من ناحية أدكو فى طلبة، وهرب الجنديان ، وكان مولانا قاضى القضاة حسن أفندى [٣٧] القاضى بالثغر السكندرى حينئذ فحضر اليه ، وقبل يديه الشريفة وسر برؤيته سروراً كثيراً وأقبل حضرة مولانا الوزير اليه إقبالا عظيما وتوجه حضرة الوزير من يومه ذلك ، ومولانا حسن أفندى يسايره ، ويحادثه ، إلى زيارة مقام مولانا وسيدنا الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر القطب الربانى ، والعارف الصمدانى ، مربى المريدين ومقتدى السالكين ذو الكرامات الظاهرة ، والأنفاس الطاهرة والأسرار الباهرة ، الاستاذ الأعظم ، والمولى الأفخم الأكرم ، سيدى أبو العباس المرسى نفع الله تعالى به وبأنفاسه الطاهرة فى الدنيا والآخرة ، وزار المقام الشريف وصلى وابتهل وتركع ، ودعى لحضرة مولانا الخنكار الأعظم الإمام الأفخم تقبل الله منه ذلك ، وهو فى غاية الخشوع والتواضع والخضوع وقرب القربان الكثيرة من الأغنام وأغدق [٣٨] على أهل المقام وأحسن إلى الفقرا والمساكين ، والأرامل والمنقطعين، من خدام المقام ، وغيره ، وكل منهم لاهج بالدعاء له والثناء عليه ، ثم إلي مقام فخر الأولياء ، وعروس الاصفياء

ذو الرتب العلية ، والمقامات السنية ، والمواهب اللدنية والنفحات المحمدية ، القطب الربانى ، أبو الروح سيدى ياقوت العرشى المجاور ضريحه للشيخ المشار اليه ، ثم منه إلى زيارة مقام الشيخ الأكبر والعلم الأشهر ، الشيخ أبو الحسن الشاذلى ، ثم إلى مقام سيدى أبو الفتح الواسطى ، ثم إلى مقام الشيخ نجم الدين السبع ، ثم إلى مقام سيدى عبد الله اليمانى ، وهو فى كل ذلك يتصدق ويغدق على الفقراء والمساكين والخدمة القاطنين بالمقامات المذكورة ، ولم يحرم من إحسانه ولطفه أحد[1] ، وشمل غالب الناس بره وعطفه ، وحصل لهم كمال الإرتفاق ، وملأوا بالدعاء له أكناف الأرض وآفاق الآفاق ، ثم [٣٩] توجه بقية نهاره إلى حيث الحصار الكبير الأشرفى بجزيرة الثغر المذكور ، إنشاء حضرة مولانا السعيد الملك المظفر الاشرف السلطان قايتباى المحمودى سقى الله ثراه . وهو الذى اشتهرت قطبانيته فى الآنام ، وقطع بولايته وعدله كل خاص وعام ، وكشف بنفسه النفيسة عليه ، وتوجه بكليته وجزيئته اليه ، كشفا جلياً ، وتأمله ملياً ، فرأى فيه بعض خلل ورث فى بنيانه ، فأمر بترميمه وعمارته ، واتقانه لهيئته ، ثم إنه صعد إلى المسجد المبارك بعلوه فزاره وصلى فيه وتبرك به ، ودعى الله سبحانه وتعالى بذلة وخضوع ، وأنعم على جميع من بالحصار من الجند القاطنين به ، وأنعم وأغدق كعادته ، وفرق أغناما كثيرة ، وانعامات أثيرة ، وعمر الحصار ، بعد ذلك عمارة حسنة جيدة فى غاية الاحكام ، على وجه المكنة والتمام ، ومما وقع فى أيام سلطنة المرحوم قايتباى المشار إليه فى بضع وتسعين وثمانماية خرج عليه [٤٠] شخصان[2] يدعى أحدهما سوار ، و(ثانيهما) حسن[3] الطويل ، ومعهما عساكر كثيرة ، طمعا فى الديار المصرية ، فأرسل اليهما تجريدة عظيمة ، ووقع الحرب الشديد والقتال العنيد ، وقتل سوار ، وحسن

---

(١) فى الأصل « ولم يحرم من احسانه أحد ولطفه » ، ونعتقد أن هذا سبق قلم من المؤلف ولذا أصلحنا العبارة على الوجه المذكور .
(٢) فى الأصل « شخصين » .
(٣) أضفت كلمة « ثانيهما » ليتضح الأسلوب والمعنى .

الطويل المذكور أشر قتلة ، ووقعت النصرة لمولانا السلطان قايتباى المشار اليه ولهجت الشعراء بذكرهما فمن ذلك مانظمه شمس الدين القادرى :

أبا حسن الطويل بعثت جيشاً كاغنام وهن لنا غنايم
فنار الحرب قد قدت سواراً وأنت لسبكها لاشك خاتم

وقال الشهاب المنصورى :

عروس الحرب نقطها المواضى بأرواح الأعارب والأعاجم
وقد جايت وفى يدها سوار وها حسن لكف الحرب خاتم

وقال بعضهم [٤١] :

ياحسن الطويل قصرت عمراً وفاتتك المعالى والمغـــانم
سوار قـد سبكاه ابتــداء وأنت بناره للسبك خاتم

ثم عاد منه إلى زيارة سيدنا ومولانا، الولى الشهير، والعلم الخطير، من عمت بركته أهل الغرب والشرق، سيدى عبد الله البرق، وحصل له بزيارته غاية السرور، والبهجة والحبور، وهو على عادته من الإنعام للخاص والعام، وخصوصاً محبته فى المجاذيب والبله، لا ينكرها أحد من الأنام، ثم عاد إلى سرادقه الشريف، وهو فى غاية العزة والتشريف وفى أثناء بكرة ذلك النهار توجه للزيارة أيضاء ومولانا حسن أفندى يسايره ويحادثه، قاصدا زيارة سيدنا ومولانا خلاصة الأولياء، وزبدة الأصفياء، والولى المشهور، بلا نزاع، وسلطان الأولياء بلا دفاع، الزاهد الورع، التواب المعتقد المتهجد الأواب، ذو الأنفاس [٤٢] الطاهرة، والكرامات الباهرة، صاحب الولاية على الإطلاق، ولى الله تعالى، والعارف به الشيخ عبد الرازق، داخل الثغر المذكور تقبل الله منه الأجور، وحصل له بزيارته غاية البشر والسرور، وقرب قربانا، وأغدق براً وإنعاما وإحسانا، ثم بعد أخذ حظه من الزيارة، توجه من ذلك

المكان الأنور، قاصدا زيارة الباب الأخضر بالجزيرة، فزاره وتماس به وتبرك وحصل له حظا عظيما، وأنعم إنعاما جسيما، ثم توجه منه إلى الجامع الأنور المعروف بالجامع الأخضر وزاره وصلى عنده، وتبرك به ودعى الله سبحانه وتعالى، وهو بغاية الخشوع والطمأنينة والخضوع، وزار المسجد اللطيف العمرى من داخله المنسوب لحضرة مولانا عمرو بن العاص الصحابى الكبير وانفرد فيه بنفسه ودعى لحضرة مولانا الخنكار الأعظم، وطلب من الله تعالى ما فى خاطره بلغه الله تعالى غاية المراد، فان من المشهور أن الدعاء عنده مستجاب، كل ذلك [٤٣] وهو يواصل الإحسان والبر إلى فقرآ أهل الثغر وكان يوما معدوداً، مباركا مشهوداً، ثم عاد إلى مخيمه الشريف بالعظمة والتبجيل والتشريف، ثم بعد بلوغ أربه من ثغر اسكندرية، توجه بما حازه من الأجور المرضية، إلى محل إيالته بالديار المصرية، فى طالع سعيد، ووقت مبارك حميد، فمر فى مسيره على مقام مولانا وسيدنا الصحابى الكبير والعالم الشهير، العالم العابد الصايم القايم، الراكع الساجد، ذو المناقب الكثيرة، والبركات الاثيرة، المجاهد الأكبر، والكبريت الأحمر، المختص برحمة الملك البارى، سيدى جابر الأنصارى، فعطف عليـــه، ودخل إليه بغاية الخضوع، وزار المقام الشريف، وصلى عنده وابتهل، وركع وسجد وتبتل، وحصل منه من الأنعام، والغنم والأنعام، مالا مزيد عليه، ورأى المقام ضيقاً[1]، فأمر متوليه، والناظر عليه، وهو فخر الأماجد والأعيان الأمير محمد بن المرحوم [٤٤] بلال من الأمراء المتفرقة بمحروسة مصر بتوسيعه وعمارته عمارة حسنة فامتثل ذلك، وعمره عمارة مليحة إلى الغاية، وزاد فيه زيادة كبيرة، وصار نزهة للناظرين، ثم إن حضرة الوزير أحسن إلى جميع من هو بالمقام من الخدمة والزوار، والفقراء والمعتقدين إحسانا عاما، وأرصد عليه حين وروده إلى القاهرة المعزية ملاحة مستجدة خارج الثغر المذكور يصرف ريعها على سماط

(١) فى الأصل « ضيق ».

يعمل بالمقام فى كل ليلة جمعة واثنين ويجتمع فيه المقرءون والوعاظ والمنشدون ويحيون هاتين الليلتين[1] من العشا إلى الصباح دايما أبداً ، ويهدى ثواب ذلك لحضرة مولانا سيدالمرسلين ، وآله وأصحابه (وللسلطنة الشريفة) ، ثم لساكن المقام ، ومن كان سببا فى ذلك، وساير المسلمين تقبل الله ذلك إلى يوم القيامة[2] (ومما حررته نقلا من مروج الذهب للمسعودى، رحمه الله تعالى أن بأرض اليمن مكان يعرف بالقاعة . مزار لصحابى من الأنصار [٤٥] يعرف بجابر ابن عبد الله الأنصارى ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله مناقب ومآثر وبركة ظاهرة ، وفيض طاهر ، وله أخبار تنقلها الأفاضل كابر عن كابر ، قدم جابر بن عبد الله هذا إلى الشام وافداً على معاوية رضى الله عنه ، فحجب عنه ، ثم اذن له فقال يا معاوية أما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقونى على الحوض أفلا صبرت. قال فى النهاية لابن الأثير ، الأثرة بفتح الهمزة ، والثاء المثلثة . الإسم من أثر يؤثر إيثارا ، إذا أعطى يريد أنه يستأثر بعضكم على بعض فى نصيبه فى الغنيمة والفىء ، فقال جابر اذكرتنى يا معاوية ما أنسانيه الدهر وخرج من عنده ، وركب راحلته ، ونزل إلى المدينة ، فذكره معاوية فأرسل إليه بستماية دينار ذهبا فردها جابر عليه ، [٤٦] وكتب إليه .

وإنى لأختار القنوع على الغنـــا إذا اجتمعا والمـاء بالبارد الممضى
وأقضى على نفسى اذا الأمر نابنى وفى الناس من يقضى عليه ولا يقضى
وألبس أثواب الحياء وقد أرى مكان الغنى أن لا أهين به يرضى

قال وليس هذا جابر بن عبد الله الأنصارى أحد المكرمين عن رسول الله ﷺ

---

(١) فى الأصل «ويجتمع فيه المقرئين والوعاظ والمنشدين ويحيوا تلك الليلتين » .

(٢) من هنا وحتى السطر الأخير من ص ٤٦ ، استطراد وخروج عن موضوع النص ولذا وضعناه بين قوسين (...) .

وان اشترك معه فى إسمه واسم أبيه ، فإن ذلك معمراً عاش أربعا وتسعين سنة ، وتوفى فى سنة ٧٧ من الهجرة النبوية ، فى أيام الحجاج بن يوسف الثقفى وهذا صحابى أنصارى آخر ، ولعله المدفون بهذا المقام ، ذكر ذلك الشيخ أبو الفتح اليعمرى فى السيرة النبوية رضى الله تعالى عنه وأرضاه، ثم إن حضرة الوزير زاده الله تعالى [٤٧] إجلالا وإقبالا ، لم يزل يجد المسير بعناية الملك الحميد ، إلى أن وصل بسلامة الله تعالى إلى ثغر رشيد ، فى عيش رغيد، فتوجه إلى الحصار الذى هناك ، وكشف بنفسه النفيسة عليه ، فوجده فى غاية الإحكام والإتقان ، فحصل له بذلك حظ عظيم وانشرح صدره لذلك ، وأحسن على من بالحصار المذكور من الجند والمرابطين وأرباب شعاير مسجده ، وأبطل بعض ظلامات ، وشكت الرعايا من شخص هناك يدعى ترك محمد ، كان شقيا من الأشقياء ، فسجنه بالحصار ، وأنفذ أمر الله فيه ، وكان جباراً عنيداً ، ثم توجه مصحوبا بالسلامة ، فلما مر على كوم الأفراح زاره ، ومن به من الأولياء والشهداء ، وتصدق وأنعم وأغدق ، ولهجت الرعايا بالدعا لحضرة مولانا الخنكار الأعظم ، ولذاته الشريفة وسار والعسكر المنصور وأمراء الألوية ، وأكابر الدولة يسايرونه، وكلما ورد عليه أحد من الكشاف [٤٨] والملتزمين يقابله بسن ضاحك ، وبشر وإقبال ويلبسهم الخلع والتشاريف، وكل من ألبسه قفطانا شرط عليه أن يمشى بالاستقامة مع الرعايا، وأن لا يكتب لأحد من الجند طلبة أبداً ، ومتى بلغه عن أحد منهم أنه كتب طلبة لفرد من الأفراد ، يكون ذلك القفطان كفنه ، واستمر على ذلك وكلما نزل على بلد أو قرية ، وشكى إليه أحد من فلاحيها يحسن لهم ويكشف ظلاماتهم إلى أن حل بشبرا المدينة وجزيرة الفيل فنصب سرادقه بها على العادة بذلك ، وقد اصطفت العساكر بين يديه صفوفا ، وكان دخوله تاسع عشر شهر صفر المظفر سنة ١٠١٦[1] فى طالع سعيد ، وساعة مباركة والسعد يقدمه ، والإقبال يخدمه ، فأقام بها ثلاثة أيام فى أرغد عيش ، وتوجه إلى دار سعادته،

(١) ١٥ يولية ١٦٠٧ م .

ومحل إيالته ، بالديار المصرية ، والقلعة الصلاحية، فدخل فى موكب عظيم ،وعز وجاه وتعظيم [٤٩] وطلع القلعة ، فى إقبال وتفخيم ، وأنعم على ساير الجاووشية والخدام والنوبتجية،وسلموا وانصرفوا بغاية الترقى والأنعام،وبلوغ المرام وكان جلوسه فى الديوان العالى . بالعز المتتالى والسعد المتوالى، يوم السبت المبارك حادى عشرين الشهر المذبور[1]، زاده الله تعالى عزا وإجلالا وسعادة وعظمة وإقبالا ، وبلغه أعلا مراتب الرضا حتى يقول جميع العالم هكذا هكذا ، وإلا فلالا، فأخذ أولا فى زيارة الأولياء والصالحين والعلماء العاملين،بالقرافتين المنيفتين ، وما بهما من الأولياء والشهداء ، فتوجه إلى مقام سيدنا ومولانا إمام الأيمة وناصر السنة . مَنْ مصر به محروسة محمية ، صاحب العلم النفيس، الإمام الأعظم ، والمقام الأفخم الإمام محمد بن ادريس الشافعى المطلبى ، تغمده الله برحمته واسكنه بحبوحة جنته ، وأنعم على من بالمقام من الخدمة والمجاورين انعاما زايدا ، ودعى الله سبحانه [٥٠] وتعالى وتوسل إليه ، ثم توجه من عنده إلى مقام سيدنا ومولانا الإمام المجتهد المجيد العالم البارع المجيد ، ذو الكرامات الظاهرة والأسرار الباهرة ، والأنفاس الطاهرة ، الترياق المجرب ، مولانا الليث بن سعد الفهمى القلقشندى المصرى ، نفع الله بعلومهما ومددهما كافة المسلمين بجاه سيد المرسلين ، ثم منه إلى الصحابى الجليل ، والغوث النبيل سيدى عقبة بن عامر الجهنى،ثم إلى مقام الولى العارف بالله تعالى سيدى فارس قطايا بالقرافة الصغرى ، وصار كلما زار مشهدا من تلك المشاهد ، أو معبدا من المعابد يتصدق كثيرا على عادته، ويقرب أغناما إبتغاء للمثوبات، واستجلابا للدعوات الصالحات ،ولم يزل مداوما على هذا الحال،لايغفل عن زيارات الأوليا والصلحا ليلا ولا نهاراً،مع النظر للرعايا بعين المعدلة والأنصاف [٥١] وخلاص المظلومين من الظالمين[2] وإزالة الجور والاعتساف ، وشرع فى تعمير البلاد

---

(١) ١٩ يونية ١٦٠٧ م .

(٢) فى الأصل « وخلاص الظالمين من المظلومين » ونعتقد أنه سبق قلم من المؤلف ؛

وتأمين العباد ، وإستجلاب خواطر الحاضر والباد ، وقطع جادرة أهل البغى والعناد ، والطغيان والفساد، وإكرام العلماء ، والنظر إلى الفقها والفقرا ، وتقوية الضعفاء من الفلاحين وعود المتسحبين ، وجذب قلوب كافة البرايا ، وعامة الرعايا ، حتى عمرت مصر بعد أن كانت خرابا ، وقراها يبابا ، ودب فيها ماء الحياة ، بعد موتها ، وانتعشت انتعاشا قويا بعد موتها ، ورفع من المظالم المظلمة ، والخطوب الموحشة المؤلمة ما اكسبت الدولة كمالا ، وأزالت نقصا ، ورفعت عنها محنا وغصصا ، فأحسن إلى أهل الحرمين المحترمين ، وبسط فى ذلك كلتا اليدين ، طلبا للمثوبات العظيمة، من الله البر السلام، ومزيد الاكرام والانعام وإستجلاب القلوب بالدعا بدوام دولة [٥٢] سلطان الاسلام ، ظل الله فى الأنام ، الخنكار الأعظم ، والسلطان الافخم ، مولانا السلطان أحمد لا زال بمجد مؤيد، وفى الحقيقة أن مولانا الوزير محمدى الإسم، طاهر الذات والجسم أخلاقه من أخلاق سميه ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، المبعوث فى الالف السابع من السنين وهى الدولة المحمدية القمرية ، والروضة الازهرية العلية نبى الساعة ، وصاحب الشفاعة ، وله حظ أيضاً من سميه محمد المهدى ، الذى يظهر آخر الزمان ، ويزيل الرجس والظلم والبهتان . وكان ورود حضرة مولانا إلى مصر الامينة ، وهى ميتة فاحياها وحصل لها الطمأنينة من إزالة جميع ماشرحناه وقدمناه فى أيام الفتن ومظاهر البغى والمحن فى هذا الزمان المشئوم ، وسوء أخلاق الخلايق ونياتهم وذلك ظاهر معلوم ، ولنذكر نبذة مما ذكره مولانا عبد الرحمن بن طلحة البسطامى صاحب مفتاح الحضر أعلم[١] [٥٣] (أن خير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم قال أنس رضى الله عنه لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء ، وقد ولد صلى الله عليه وسلم فى الالف السابع

(١) من هنا وحتى نهاية القوسين ( ) فى منتصف ص ٥٧ خروج عن موضوع النص ولذا وضعناه بين القوسين .

عام الفيل عهد كسرى أنوشروان ، فهو فاتح كتاب الوجود ، وهو الفاتح الخاتم وقال صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض ، ولذلك خص بسورة الحمد التى هى فاتحة كتابه من كنز تحت العرش ، ولم يسبح إلا باسمه صلى الله عليه وسلم أحمد ، ألا ترى أن حروف الفاتحة ، تشير إلى أسمه صلى الله عليه وسلم محمد ، قال عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله ، فالله الله لها من العدد ١٣٢ وذلك عدد اسمه عليه الصلاة والسلام محمد وهو أيضا عدد ١٣٢ وهذا العدد له من الحروف قلب فهو عليه الصلاة والسلام قلب هذا العالم ، ويخرج من [٥٤] اسمه عليه الصلاة والسلام عدد من أرسل من الانبياء . وإذا ضممت باطن عدد هذا الاسم الذى ظاهر عدده كان الخارج من الجملتين ، وقت ظهور خاتم الأولياء محمد المهدى فافهم افهم وقد انقرض عصر من الصحابة ما بين تسعين إلى مائة رضى الله تعالى عنهم وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عما وقع بعده من الفتوح وعما ظهر من الفتن التى الأمساك عن الخوض فيها من أحسن الحسن ، وما ورد من أحاديث الملاحم وأمثالها ، وظهور الفتن المتداولة وأحوالها ، ولقد أخبر عن ملاحم الروم فحصلت ، وعن قتال طايفة فقوتلت ، وفصل ذلك صاحب الجفر على المآت ، فقال المائة الأولى على رأسها يظهر سيف الحق ، وإمام الخلق أقامه الله تعالى ليحى الكتاب والسنة ، وعمى الضلالة والبدعة إلى أن قال ، والمائة التاسعة ، وهى أم المآت فى الشدائد ، والتى يجرى فيها ما لم يكن فى العوايد ، فان الناس كانوا فى الزمان الخالى ، ومامر من الأيام والليالى ، منتظرون هذا القرن التاسع ، وذكر ما فيه [٥٥] من الأهوال بينهم شايع حتى أن من الناس من يقول إن القيامة فيه تقوم ، وأنه لا يبقى إلا الحى القيوم ، ولأرباب الملاحم وأهل التيسيرات وأصحاب الحساب فيه مجال واسع ، وشرب جامع ، وقال فى موضع آخر بعد هذا ، وأما القاف والنون والياء فلها من العدد ٣٦٠ فإذا أسقطنا منها ياء كان الباقى ٣٥٠ ، وذلك أعداد عيسى وعدد سيف ، وهو إشارة إلى ظهور سيف القرآن محمد

المهدى ، ونزول عيسى المسيح وعدد[1] سلطان وهو إشارة إلى تجدد سلطنة الدولة المحمدية القمرية ، وقد ورد فى الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن صلحت أمتى فلها يوم وهو ألف سنة ، وبلغنا أن عيسى عليه السلام يصلى بالناس صلاة العصر ، وهى إشارة إلى أنه ينزل على ثلاثة أرباع اليوم فاذا أخرجت من الألف ٨٤٢ كان الباقى فى خمس الربع سبعة فهى مدة لبث الدجال الأعور فى الأرض وينزل عيسى عليه السلام [٥٦] على ثلاثة أرباع اليوم ، ويرفع القرآن عند تمام حروفه وذلك على دايرة ٩٥٢ سنين ، ويبقى فى الألف ٩٧ سنة فيها شرار الناس ، وعليهم تقوم الساعة حتى تباع أولاد العلوج بسويقة مازن ولا تقوم الساعة حتى تحسر الفرات عن جبل من ذهب ولا تقوم الساعة حتى يجتمع صايب الاسلام وصليب الكفر برج داود ولا تقوم الساعة حتى يحتاج الاخيار إلى الاشرار[2] ، ولا تقوم الساعة حتى تكثر الفتن والخوارج، والأمور العوارج ، قال عليه الصلاة يأتى على أمتى زمان يأكل القضاة من الخصمين ، ولا تقوم الساعة حتى تأكل المرأة من فرج ابنتها ، ولا تقوم الساعة حتى يكون شيخهم شاطر ، وشابهم فاجر ، وأمينهم جاير ، ووزيرهم تاجر، قال عليه الصلاة والسلام إذا أتى على أمتى مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزلة والغربة والترهب على رءوس الجبال ، وفى تاريخ ٨٥٥ ترفع الشريعة ، وتسرق الوديعة ، وقال عليه الصلاة والسلام يكون فى آخر الزمان [٥٧] عباد جهال ، وعلماء فساق ، سنة ثلاث يظهر الخراب ، وفى هذه الاشارة الشافيه ، والعبارة الكافية ، إشارة إلى الحى البساط ، ورفع السماط وتحريك الزامر ، وشق الاثواب ، وطرق الابواب ، وسفك الدماء ، وهتك النساء ، وشقاق العلماء وخلف الامراء ، وقيام السيف فى الشتاء والصيف ، وسوء الحال ورفض المال، وكل ما ترى من العبر ، لنفوذ القضاء والقدر) ، ولولا أن الله سبحانه

(١) فى الأصل حرف «على» وعليه شطب .

(٢) فى الأصل « يحتاج الأشرار الى الأخيار » ونعتقد أنه سبق قلم من المؤلف .

وتعالى أغاث عباده بهذا الوزير الماشي على سنن سميه صلى الله عليه وسلم البشير النذير ، ومحمد المهدى الآتى فى الزمن الأخير ، لخربت البلاد وهلكت العباد ، وصرت لا ترى إلا فيافى أو قيعان ، وبوادى وغيلان ثم أنه نظر فى أمر القلعة المنصورة وجدد بناها وعمرها عمارة حسنة إلى أن صارت نزهة للناظرين ، ولم يزل على ماهو عليه من مزيد الإنعام والنظر بمافيه المعدلة ، ولما أن آن أوان توزيع الأقاليم المصرية ، على العمال والملتزمين ، فوزع كل إقليم على مايليق به من غير خدمة وكان من جملة [٥٨] من أنعم عليه من الكشاف المعتمدين شخص من أكابر الجند الملتزمين يقال الأمير حسن الحلوجى فأعطاه ولاية الغربية وأخلع عليه قفطاناً عظيما ، فتوجه الأمير حسن المشار إليه وهو فى غاية السرور ، بعد ذلك إلى بولاق لبعض مصالحه وجلس بموضع مشهور هناك على شاطىء البحر يقال له سبيل البردان ، فصادفه طايفة من الجند المذكور ، واللوند المفسدين ، وقصـــدوه بسيوفهم وهى مسحوبة بأيديهم ، فهرب منهم ، وطلع إلى بعض السفن روماً للنجاة فأدركوه ، وضربوه بالسيوف ، وسقط إلى البحر ميتاً ، وأخرج بعد ذلك ، وعرض أمره على حضرة مولانا الوزير المشار إلى حضرته فاستشاط غضباً وغيظاً وتأججت نار حميته وزادت لهباً ، وبرز أمره الشريف بإجهار النداء لجميع العسكر المنصور ممن يأكل العلوفة السلطانية من عثمانى إلى ألف أن يجتمعوا فى قرة ميدان ، ولم يتخلف أحداً ، فامتثلوا الأمر [٥٩] ذلك واجتمعوا أسفل القلعة المنصورة ، وأقام سنجقاً سلطانياً ، ونادى من كان طايعاً لله سبحانه وتعالى ولرسوله وللسلطنة الشريفة الخنكارية ، فليقف تحت هذا اللواء ، ومن خالف وخان وسعى فى الأرض بالفساد حاربناه وقتلناه ، فحضر كل أمراء الألوية الشريفة من المستحفظان بمصر المنيفة . ممن يأكل العلوفة وأجابوا بمزيد السمع والطاعة ، ووقفوا تحت السنجق السلطانى وقالوا نحن عبيد مولانا السلطان ، وممتثلون لأوامره الشريفة ، وأمر مولانا الوزير صاحب السعادة ، وأن جميع ما يأمرنا به فعلناه وكل من تخلف منا قاتلناه ، فلما كان الأمر على ذلك أظهر لهم حضرة مولانا الوزير خط

همايون المتقدم ذكره المتضمن لرفع الطلبة ، وأن كل من طلبها ، أو تسبب فى أخذها أو تحصل عليها بوجه من الوجوه يكون ساقطاً مخرجاً من ديوان الجند بعد التحقير الشديد والتنكيل به [٦٠] فذكر لهم حضرة الوزير أن من بعض البلوكات عسكراً أشقيا يصدر منهم مثل هذا الفساد فى كل حين ، والتجرى على قتل الأمراء وأرباب الدولة والأكابر جرأة وعدم مبالاة ، فإن كنتم تريدون الصفح عنكم فيما صدر منكم سابقاً ، فتقبضون عليهم وتسلموهم إلينا لنخرج من حقهم فأجابوا بالسمع والطاعة ، وقبضوا على من كان معروفاً منهم بذلك فأسلموهم لحضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى ، ثم حلفوا بعد ذلك يميناً معظما على كلمة واحدة،أشهدوا على أنفسهم أنهم من اليوم لايمشون فى أمر شىء يقال له الطلبة ، ولايذكرونها على لسانهم ، ولايقرون عليها ، وخرجوا على ذلك وصاروا كل من عرفوا ذلك منه يكبسون عليه ويحضرونه لحضرة مولانا صاحب الدولة وسكنت الفتنة بمقتضى ذلك ، واطمأنت العباد ، وحصل للفلاحين والرعايا غاية الانتعاش ، واتسعوا غاية الاتساع [٦١] بعد أن كان الواحد من الفلاحين لايملك ريش دجاجة، وصار عندهم الأوز والدجاج والأغنام والشىء الزايد ، والبركات المتزايدة آمنون مطمئنون ، فى ظل الدولة الشريفة . وصار الكبير لايقدر أن يجير على الصغير ، ولايأخذ أحد من الباعة شيئاً إلا بأزيد من ثمنه ، وصار الذيب والغنم فى المرتبة سواء ، ثم بعد ذلك ورد أمراً خنكارياً بأن يجهز من العسكر المنصور نحو ألف فارس لحضرة مولانا السردار بالديار الشامية لأجل دفع الطايفة الجلاليـة ، فأجابوا كلهم بالطاعة وأذعنوا للأمر ، وجهز مولانا صاحب السعادة العسكر المطلوب على أتم الوجوه ، ولم يصدر من أحدمنهم مخالفة ولا إيذاً لمخلوق ، فتوجهوا صحبة سردارهم المعين من جانب مولانا الوزير أدام الله تعالى نصرته ، هو الجانب العالى حاوى المفاخر والمعالى الأمير قانصوه ميراللواء الشريف السلطانى بالديار المصرية ، وتوجه بالعساكر المنصورة إلى قتال الطايفة [٦٢] الخوارج الجلالية فسار هو وهم يقطعون الفيافى والمراحل بالبشر والسرور إلى أن قدموا المملكة الشامية ، واجتمعوا بحضرة الوزير

الأعظم ، والدستور الأمجد الأكرم ، حضرة مراد باشا المفخم المعظم ، وهو السردار الأعظم ، وصار فى خدمته بما معه من العساكر المنصورة المصرية ، وكذلك جميع مامعه من العساكر إلى أن التقوا بمكان يقال له «كوكسون يايلاسى»[1] ووقع بينهم القتال، والحرب والصيال ، وتجاولا وتجالداً ، وتقابلا وتقاتلا ، فنصر الله تعالى الإسلام ، وأعلا كلمة الإيمان ، وأخذ الخوارج اللئام ، ببركة النبي عليه السلام ، وقتل منهم طايفة كبيرة لاتعد ولاتحصى ، ولاتحد ولاتستقصى ، وولوا على أعقابهم مدبرين ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين ، وأظهرت العساكر المصرية اليد البيضاء فى ذلك وأبلو بلاء حسناً وأظهروا [٦٣] شجاعة عظيمة عرفوا بها ، وأفرغ حضرة الوزير الأعظم على الأمير قانصوه الخلع السنية والترقيات البهية ، هو ومن معه من العسكر كل منهم على حسب مرتبته وبما يليق به من المناصب المصرية ، وأذن بعد الأنعام للأمير قانصوه ومن معه بالعود إلى منازلهم ، ومحل أوطانهم ، فعادوا سالمين غانمين ، فرحين مستبشرين ، كأنهم لم يقاسوا تعباً ، ولم يعاينوا وصباً ولانصباً ، ولامشقة ولاخطراً ، ولا ألماً ولاسقراً ، وكان دخول السردار إلى مصر المحروسة يوماً مشهوداً ، شهده الكبير والصغير ، وجميع أكابر مصر وأمرائها وعلمائها وفضلائها ، وساير الأمرا المستحفظين والنوبتجية ، والسنجق الشريف مفرود على رأسه ، والنوبة السلطانية تدق بين يديه ، وكان دخوله مصر المحمية فى يوم «الجمعة المبارك»[2] وقد طلع إلى الديوان الأعلا فى غاية العظمة ، وواجه حضرة مولانا صاحب الدولة [٦٤] والسعادة ، فتلقاه بغاية الإقبال والعظمة

---

(١) فى الأصل « بياض المخطوطة » وأكملت اسم المكان من مخطوطة « كشف الكربة فى رفع الطلبة » وجه ورقة ٤٣ ، من الجزء المحذوف من الطبعة المشار اليها سابقاً .

(٢) فى الأصل « بياض المخطوطة » والتكملة من مخطوطة « كشف الكربة فى رفع الطلبة » ظهر ورقة ٤٣ ، من الجزء المحذوف ، من الطبعة المشار اليها .

والإجلال ، وشكر صنيعه وسعيه وكذلك جميع من معه من العساكر السلطانية وشرف معاطفة بالخلع السنية الفاخرة ، وأنعم عليه بالنعم الجزيلة الوافرة ، وكذلك كتخداجا ووشيتة ومن كان مشهوراً بالفروسية والشجاعة وانبسطوا غاية الانبساط ، وحصلوا مرادهم وصاروا فى ألذ ما يكون من النشاط ، وأنعم عليهم بالعود إلى بلادهم التى كانوا بها سابقاً ، كل ذلك وهم فى غاية الطاعة والإذعان ، والخضوع والاستكان غير أن طايفة من الأشقيا كانوا قديماً فى أسنانهم طعم حلاوة «الطلبة» فصاروا يصابرون عليها ، ويحتالون على الكشاف فى أخذها ، ويُغْرِ بعضهم بعضاً فى القيام بطلبها ، فلم يطاوعهم أحد من الكشاف على ذلك ، فقدر الله سبحانه وتعالى بعد مدة يسيرة أن شخصاً من الجند الذين عادوا من السفر يدعى (   )[1] أحضر حكماً من حضرة السردار الأعظم بمنصب [٦٥] دوادارية الغربية ، وأنعم عليه بذلك من قبل مولانا صاحب السعادة زيد إقباله ،وأعطاه بذلك قفطاناً ، وكتب له حكماً شريفاً خطاباً لمولانا قاضى القضاة إسماعيل أفندى الحاكم الشرعى بالغربية ، والكاشف بها هو فخر الأكابر الأمير محمد الحلوجى بالتمكين فامتثلا ذلك ولبس الخلعة الشريفة ونودى له بذلك بالمحلة الكبرى ، وهو لابس القفطان على العادة ، فمر على طايفة من الجند وهم مجتمعون جالسون تجاه بيوت القهوة بوسط السوق ، فلما أن رأوه وعاينوه وهو لابس القفطان فزعوا عليه جميعا بأسلحتهم وأرادوا قتله وتكلموا بكلام غير لايق ، وقالوا له إن لبست هذا القفطان ، أو تصرفت فى الدوادارية قتلناك فمن خوفه على نفسه قلع القفطان ، وتوجه إلى المحكمة الشريفة، والكاشف مقيم بها فألقاه إليهما ، وأعلمهما بما وقع ، وإذا بطايفة من الجند هجموا على مجلس الحكم الشريف ، وحصل منهم مالا خير فيه ، من أنواع السب فى حق الكاشف ،

---

(١) بياض فى المخطوطة ولم يذكر اسم هذا الشخص ، ولم يذكره كذلك ابن أبى السرور فى كشف الكربة ، بل ترك مكان الإسم بياضاً فى كلتا المخطوطتين ، انظر : كشف الكربة فى رفع الطلبة ، ص ٣٤٧ .

وقالوا [٦٦] من جملة ذلك إيش هذا الذى عملته داوداراً هذا مايستحق أن يكون مشدًّا فى أقل النواحى ، فقال لهم الكاشف أنا مافعلت هذا إلا امتثالا لحضرة مولانا الوزير الذى مكنه فانه جهز أمراً مرتباً على إعطاء السردار ، ولايمكن الإمتناع ، فحصل منهم أيضاً قلة أدب زايدة جداً ثانياً ، وتم الأمر على المنع ، وقد كانت هذه الفعلة داعية لقيامهم ، وكتابتهم لبعضهم بعضا من من طايفة الإسباهية البلوكات الثلاث لساير أقاليم مصر الاثنى عشر[1] ، وأن يجتمع ساير الجند المكتوبين بهم يوم الجمعة المباركة فاجتمعوا كلهم فى أوائل شهر القعدة الحرام سنة سبع عشرة وألف[2] ، بمقام مولانا القطب الربانى والعارف الصمدانى الشيخ أحمد البدوى بطندتا بالغربية نفع الله تعالى به ،فاجتمع هناك ساير الجند من الأقاليم المذكورة ، وتحالفوا داخل المقام وتعاهدوا وتعاقدوا ، وأوثقوا الإيمان الذى ماعندها ايمان ، على أمور [٦٧] يفعلونها وأنهم فى ذلك على قلب رجل واحد فى الحالات الست ،وأن لايتخلى أحدمنهم عن الآخر موتاً ولاحياة ، ومن جملة ماتعاقدوا عليه طلب بعض جماعة من أكابر الدولة ليقتلونهم ، وأخذ الطابة التى هى معظم الفتنة . وتواردت أخبارهم بذلك من الثقاة[3] وغيرهم واشتهر ذلك عنهم وذاع ، وملأ الأسماع والبقاع ، ومن أعجب ماأشيع أن جند إقليم الشرقية هجموا على الكاشف بها هو نخر الأمراء ( )[4] .

---

(١) كانت مصر آنذاك مقسمة إلى الأقاليم التالية :
الشرقية ، المنوفية ، الغربية ، القليوبية ، المنصورة ، جيزة ، أطفيح ، فيوم ، البهنساء ، أشمونين ، منفلوط ، جرجا .

(٢) فبراير ٩ ١٦ .

(٣) فى كشف الكربة «البغاة» ، والصحيح ما ذكره المؤلف . انظر كشف الكربة ، ص ٣٤٩ .

(٤) بياض فى الأصل ، ويبدو أن الأمر التبس على المؤلف أهو كاشف إقليم الشرقية أم المنوفية ، وترك الأمر لتحقيقه ولكنه لم يفعل ذلك ، وقد ذكر ابن أبى السرور أنه =

فى منزله وطلبوا منه كتابة وصولات بالطلبة . وقالوا له نحن كنا فى السفر السلطانى : وما كان معنا نفذ بأجمعه ، وقد بعنا جميع ماعندنا فى السفر من العدد والآلة ، ولم يبق بيدنا شيء، وركبتنا الديون، ونحن لنا ثمانية عشرة خدمة، ولابد أن تطالقها لنا فامهلهم ثلاثة أيام، وأعرض هذه الواقعة على حضرة مولانا الوزير بالتفصيل، والتمس الجواب بالاذن فى ذلك أو عدمه على يد كتخدايه المقيم بمصر، فلما أطلع مولانا صاحب [٦٨] السعادة على العرض غضب غضباً شديداً ، وصمم التصميم الكلى على المنع ، وأن لاجواب فى ذلك ، فلما تبين لهم حقيقة المنع اجتمعوا بامرائهم وبجميع مامعهم من اللفيف والأتباع ، وطلبوا أطلابهم وأخذوا معهم من وجدوه فى طريقهم من داعية الفساد من الجماعة البطالة الذين ليس لهم علوفة، وما انضم إليهم من أهالى الفساد ، وكتبوا مكتوبا لحضرة مولانا صاحب الدولة والسعادة بما يطلبونه ويرومونه : هذا وقد أقاموا أربع سناجق ورتبوا جموعهم ونشروا أعلامهم ، وجعلوا لهم كاتباً لضبط أسمائهم وعملوا يقلبه وتجمعوا بقضهم وقضيضهم بالات الحرب والقتال ، والعدة الكاملة والأهبة الشاملة ، وصاروا لايمرون على قرية إلا وأخربوها ودمروها من نهب جميع مايجدونه من الغلال والسوايم والعليق والأغنام ، وأنواع المطاعم . ودهكوا الزراعات بحوافر خيولهم [٦٩] خصوصاً بما يتعلق بالامناء ، فانهم أكبر أعدائهم ، فانهم كانوا يقولون بإباحة ما يأخذونه منهم ، وفعلوا أفعالا لايفعلها من فى قلبه رقة ولاشفقة على المسلمين ، وبدت منهم أمور منكرة جداً ، فلما رأى ألا مناء ذلك على ماقيل ، طلعوا إلى الديوان العالى ، وشكوا هذه الفعايل لحضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى وقالوا نحن فينا كفاءة لحربهم، هذا والطايفة المذكورة مستمرون على فسادهم وعنادهم ونهبهم جميع ماظفروا

= كاشف اقليم المنوفية » حيث كتب فى مؤلفه « وأعجب ما حكى أن بعض الجند المقيمين بالمنوفية ، هجموا على الكاشف بالإقليم ، هو فخر الأكابر سليمان ابن درغوث ، وطلبوا منه كتابة وصولات الطلبة » ، ص ٣٤٩ .

به ، ومن جملة العكوسات أنهم نزلوا بمكان يقال له منى جعفر [1] بالشرقية ببلبيس فأقاموا به ، وهو بالقرب من مكان يقال له ، تل اليهودية وصاروا فى كل يوم يمر فى زيادة من داعية الفساد ، فلما أن تقرر خروجهم ، وظهر واتضح لمولانا الوزير نصره الله ، فقد أمر مناديا ينادى لجميع العساكر المصرية ، المطيعين للحضرات الخنكارية من أمراء [٧٠] الألوية الشريفة والجركسية ، والمتفرقة ، والجاووشية ، وما وجد من الاسباهية المقيمين بالديار المصرية ، والينكجرية والعزب ، وغير ذلك ممن يأكل العلوفات السلطانية من عثمانى إلى أكثر ، وأحضر ساير الأمراء من الأقاليم أيضاً فحضروا جميعاً بآلات حربهم ، ومن يعتمد عليهم فى حسن الرأى واصابته ، ونصب ديوانا طنانا فى خصوص ذلك وذكر لهم أمر العساكر الذين خرجوا عن الطاعة ، وطلبوا القتال ، واستشارهم فى ذلك ، وأراهم صورة نقش ضميره فى مرآة مقاله ، فإن القائل يقول :

أقرن برأيك رأى غيرك واستشر
فالحق لايخفى على رأيين
المرء مرآة تريه وجهه ويرى قفاه بجمع مرآتين

ولابأس بالاستشارة من ذوى الرأى والمثوبة والحكمة لقوله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ،« وشاورهم فى الأمر» ، وقال سبحانه وتعالى مخاطباً له ، «ولاتك فى ضيق مما يمكرون» [2] .(وذلك لما ألب الطلوب عليه ، وقصدوه [٧١] بالمكر والمكروه ، كما أخبر الله تعالى بقوله ، ولاتك فى ضيق مما يمكرون ، وكان رؤساء قريش ، اجتمعوا فى دار الندوة للتشاور فى أمر النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم ابليس لعنه الله تعالى ، فى صورة شيخ أعرابى،

(١) تعرف حالياً باسم السلطانية ، من قرى مركز شبين القناطر ، محافظة القليوبية .
(٢) من هنا وحتى نهاية القوسين (. .) فى منتصف ص ٧٣ خروج عن الموضوع .

فأرادوا إخراجه عنهم ، فقال لهم إني رجل من أهل نجد . ولاغنى عليكم مني ولعلكم لاتعدمون من محضرى خيرا ، فأخذوا فى تشاورهم ، فقال عتبة أرى أن تخرجوه من بين أظهركم . فان ظفر كان ظفره حظا لكم . وان قتل كنتم قد كفيتم أمر دمه ، فقال ابليس ما هذا برأى . أما سمعتم حلاوة منطقه وأخذه بالقلوب. فلا تأمنوا أن يقع فى حى من أحياء العرب فيستفسد أهواءهم ويسيرهم اليكم حتى يفرق جماعتكم . فقال آخر منهم أن يوثق فالحبس حتى يأتيه أجله . وهو فى حبسه فقال إبليس لعنة الله عليه . ليس هذا رأى . أما علمتم أن له أهل بيت وأتباع . لايرضون منكم بهذا فيقع الحرب [٧٢] بينكم وبين أمركم ثم قد تكون الدايرة عليكم فقال أبو جهل أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قبايل قريش شابا جلدا . ونعطى كل منهم سيفاً ويأتونه فى مضجعه . فيضربونه ضربة رجل واحد ، فلا يقدرون أهله أن يطلبوا بدمه جميع القبايل إذا افترق دمه بينها ، فقال ابليس لقد أصاب ، فتفرقوا على رأى أبى جهل وأوحى الله تعالى إلى رسوله عليه الصلاة والسلام يعرفه مكرهم ويأمره بالهجرة إلى طيبة ، وجاء الذين تخيروهم من القبايل ـ لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم — إلى منزله من أول الليل ، وأوصى النبى صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه أن يلبس برده الأخضر وينام على فراشه وأعلمه أن لا يصله أحد من قريش بمكروه ، فالتحف على كرم الله وجهه ببردة النبي صلى الله عليه وسلم ، ونام على فراشه ، وخرج النبي صلى لله عليه وسلم من بيته ؛ والقوم على الباب . فقرأ أوايل سورة يس والقرآن الحكيم . وأخذ كفاً من التراب [٧٣] وجعل يذرية على رؤوس القوم وهم لايرونة وانصرف صلى الله عليه وسلم متوجهاً نحو الغار ، وجعل المشركون ينظرون إلى على كرم الله وجهه فى مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه برده الأخضر فيقولون هذا محمد نائم ولا يطيقون الدخول حتى أصبحوا وقام على رضى الله عنه ، فنظروا إليه فأتوه وقالوا له أين محمد فقال لاأدرى أمرتموه بالخروج فخرج فحبس فى المسجد ساعة ثم تركوه)،عوداً إلى مانحن فيه، فمنهم من أشار بأن الرأى المتين ، والمنهج المبين

وتطييب نفوسهم بما يطلبونه إلى أن تطفى هذه النايرة، فان الأمر ربما يتسع، ولا يتجمع، ويعسر الإلتيام. ويترتب على ذلك مراتب صعبة المرام. من هلاك الأنفس والأموال، ودهك الرعايا والرجال، وإذا توجه كل منهم إلى محله، فيؤخذ المفسد بالتدبير، ولا ينبئك مثل خبير، فلم يقبل هذه الإشارة ولا التفت إلى هذه العبارة، ومنهم من قال [٧٤] بل نقاتلهم إلى أن يحكم الله بيننا وبينهم. وكان من تكلم بهذا الكلام. ونطق بهذا المرام. الناصح للسلطنة الشريفة. الباذل مهجته ونفسه فى مرضاتها المنيفة حضرة فخر الأمرا وكنز الكبرا، زين الدين صالح، أمير اللواء الشريف، حفظه الله تعالى وأعانه على فعل الخيرات، ودفع المنكرات. فإنه قال من المحال أن نرجع عنهم إلا بالقتال، إلى أن ينفذ القضاء والقدر، فأجابه إلى هذا الرأى جميع الأمراء والعساكر المشار إليهم، وأقام حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى فخر الامرا الكرام، عمدة الكبرا الفخام، الأمير مصطفى ميراللواء الشريف السلطانى، سردارا على العساكر الشريفة لما علم أنه مستحق لذلك وفيه كفاءة تامة، وعين معه شدًّا لعضده، ودفعا لملالته حضرة مولانا فخر الأماجد والأكابر، حاوى المحامد والمفاخر، الجناب العالى، والكوكب الوضّاح فى أفق المعالى، الأمير مصطفى كتخدا الطايفة الجاووشية بالديار المصرية، وساير الأمناء والملتزمين وانعقد [٧٥] الإجماع على ذلك وبرز أمره الشريف ببيورلدى شريف للطايفة المذكورة على يد مولانا فخر الفضلا عمدة النبلا، محمد أفندى الشهير بالتى برمق زيدت فضايله، وأغاة التوفكجيان، متضمنا للوعظ والنصايح لهذه الطايفة، ويحذرهم من غضب الله عليهم، وغضب السلطان، وأن يقلعوا عما هو فى زعمهم من خيالاتهم الفاسدة الذين لا يقدرون عليهـــا، ولا يورثهم ذلك إلا الخذلان والبوار، وبعد الدار، وانهم يرجعون ويتوبون إلى الله سبحانه وتعالى، ولا يرجعون لما صدر منهم، ويدخلون في عموم العسكر بنفس رضية، ونية مرضية

فان فعلوا ذلك سامحناهم ، وعفونا عنهم ، مع عدم الإنتقام ، والتوجه الى بلادهم ومرعاتهم الزايدة ، وبإمتثال هذا الكلام ، فتوجها إليهم وقرءآ عليهم البيورلدى الشريف، وطرز الشيخ المشار إليه نصايح وعظات أوردها عليهم[1]، (ومعناها ، هو أنه ليس بخاف على العاقل اللبيب ، الفطن الاريب أن الاتسام بصفة العصيان ، والخروج عن طاعة [٧٦] سلطان الزمان من سمات الغرور ، وصفات كل غبي مغرور ، ومخالفة أوامر سلطان البسيطة ، الذى أوامره فى أطباق الآفاق محيطة ، صاحب العسكر الجرار كالجراد المنتشر ، والجنود الغالبة والجيوش المنصورة ، التى لا تعد ولا تنحصر ، هذا وقد كنتم غارقين فى نعم السلطنة بألذ العيش ، وأنعم البال ، لاتشوبكم شايبة من الوبال، وكنتم كما قال الله تعالى «وأضرب لهم مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله»[2] ، ومثل هذه الوقايع الصادرة عنكم لا تصدر عن عاقل ، ولا يتجرى عليها بالاقدام أحد ولو تحصن بالمعاقل ، لكن نحن نبريكم أن يقع منكم شيء من هذه الوقايع ويصدر عنكم مثل هذه الشنايع البشايع ، وقد قرن الله تعالى فى كتابه المجيد الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ، وإطاعة ولاة الأمور ، فقال تعالى كما لا يخفى عنكم « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »[3] وأمر الشارع صلى الله عليه وسلم [٧٧] بقتل من خلع ربقة الطاعة ، وخالف الجماعة ، فقال عليه الصلاة والسلام وأمره لاحق بأمر القران ، «من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهو جمع فاضربوه بالسيف كاينا من كان » ، وحيث كان الأمر كذلك فاللايق بكم التبرى عن هذه الفتن ، والتنصل من صدور هذه البشايع ، ما ظهر منها وما بطن ، ومن الظاهر المعلوم أن هذه الفضايح لم تصدر من عاقل بل من غوغاء الأشقيا ممن استغواهم الشيطان ،

(١) من هنا وحتى السطر الرابع من ص ٨١ ، خروج عن موضوع النص ولذا وضعناه بين القوسين (...) .

(٢) سورة النحل آية ١١٢ ، وصحة الآية « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة .... »

(٣) سورة النساء، آية ٥٩ .

واستخفهم البغى والطغيان ، فإذا فعلتم ذلك تفوزوا بالحظ الأوفر ، والحظ السلطانى الأكبر ، الذى هو أعز من الكبريت الأحمر ، وإن أبيتم ونأيتم وخالفتم وعصيتم ، فهذا ظن واهى ورأى متناه فى الغباوة غاية التناهى ، والأمر حينئذ عظيم ، والخطب جسيم ، ولا ينبئك مثل خبير ، والله الغفور الرحيم ، وضرب لهم مثالا أيضاً يليق بما هم فيه لا بأس بذكره للاعتبار والعظة ، وذلك أن الخيشوان[1] [٧٨] ملك الهياطلة لما أسر فيروز بن يزدجرد ملك فارس وأراد اطلاقه أخذ عليه عهداً[2] أن لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ، ووضع فى أقصى أرض الهياطلة صخرة وأخذ على فيروز عهداً أن لا يتجاوز تلك الصخرة ، ولما استوثق الخيشوان من فيروز بما أخذه عليه من العهد أطلقه ، فلما رجع فيروز إلى دار مملكته داخلته الحمية والأنفة والعظمة وعزم على التوجه إلى الخيشوان وأطلع وزراءه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة البغى وذكروه العهود الذى أخذها عليه الخيشوان وقالوا له لكل عاثر راحم إلا الباغى فإن القلوب مطبقة على الشماتة بمصرعه ، وما أعطى البغى أحدا شيئاً إلا أخذ منه أضعافه وما كثر من كثره البغى ، ولا قوى من قواه الظلم ، ولا ملك من ملكه الغضب ، فقال لهم إنى إنما حلفت له أن لا أتجاوز تلك [٧٩] الصخرة وأنا أمر بحملها على فيل فيكون بين يدى جنودى ، لا يتجاوزها أحد منهم ، فلما رأوا وزراءه أن الهوى قد وقف به على حد الرضا بهذا القول علموا انقياد عقله لشهوته ، فأمسكوا وأقسموا أن لا يراجعوه فاخرج فيروز مرازبته وهم أربعة يتبع كل مرزبان منهم خمسون[3] ألف مقاتل — كان كل واحد منهم حافظاً لربع مملكته وأمرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة ففعلوا ، وسار فيروز نحو الخيشوان ، وهو يضعف عن مقاومة مرزبان من مرازبة فيروز ، وإنما كان

---

(١) فى الأصل « الخيشوار » والتصحيح من « كشف الكربة » لابن أبى السرور ، الجزء المحذوف من الطبعة المشار إليها ، ظهر ورقة ٥٢ .

(٢) فى الأصل « عهد » .

(٣) فى الأصل « خمسين » .

ظفره به أولا بمكيدة ، وقد كان مؤابدن قال لفيروز حين قوى عزمه على الخيشوان لا تفعل أيها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على الجور ما لم يأخذوا فى هدم أركان الشريعة ، فلا تتعرض له بسوء ، فلم يلتفت فيروز لهـــذه المقالة [٨٠] وركب هواه وسار قاصداً نحو الخيشوان حتى انتهى إلى تلك الصخرة التى نصبها الخيشوان لفيروز ، واستحلفه أن لا يتجاوزها فأمر فيروز بقلعها وحملها على فيل ، وأن يكون الفيل الذى يحملها بين يدى عسكر فيروز ، ونهى أن لا يتجاوز ذلك الفيل أحد من العسكر ، فلما بعد عن ذلك الموضع الذى كانت فيه الصخرة ، وعلم الخيشوان ، قصد فيروز عليه لحربه ، حمل نفسه على التثبت ، وتوكل ووكل الأمر إلى الله تعالى وسأله أن يغضب لعهوده ومواثيقه التى لم يرعها فيروز ، ولا خاف نكثها لحصن ثغوره ، وجمع إليه جنوده، وأعد للقاء فيروز عدته ، وأمهل حتى وطىء فيروز كثيراً من أرضه ، وتوسط مملكته ، وعاث بلاده ، وأساء على رعيته ، فنهض إليه ففاجأه ، وصدقه الجلاد، ففر فيروز منهزماً ، وتسلّمَ ما كان فى يده وقتل ، [٨١] الخيشوان رجاله وغنم أمواله ، وأمعن فى طلب فيروز حتى ظفر به فقتله وأسر إبله ، وجماعته وأصحابه ، وكانت العاقبة له ، وانقلب بغى فيروز عليه ، وهذه عاقبة البغى والتعدى) ، وضرب أمثالا كثيرة من هذا المعنى ، فلم يتعظوا ولم ينزجروا ، ولم يطرق هذا الكلام أسماعهم ، وأصروا على ما هم عليه ، ولم يلتفتوا ويتعظوا بقول الله تعالى ، ومن بغى عليه لينصرنه الله ، وبقوله تعالى يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم ، وقوله سبحانه وتعالى فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى ، والبغى شىء مشئوم ، وعند الله يجتمع الخصوم ، واستمروا على المخالفة والعصيان ، والشقاق والطغيان ، فرجع المشار إليهما من عندهم ، وفاوضا[1] حضرة مولانا صاحب الدولة والسعادة بذلك ، وكان ذلك أيضاً بعد إجهار الندا ، بأن كل من يأكل العلوفة السلطانية فى قليل أو كثير يتجهز ويبيت

---

(١) فى الأصل « وفاوض » .

عند السردار المشار إليه [٨٢] بقراميدان بآلات الحرب والقتال، فامتثلوا ذلك وأحضروا لأمّة حربهم، وعدتهم وأسلحتهم وأقاموا ليلتهم تلك وهم متقلدين بأنواع السلاح، وأصبح السردار المشار إليه صبيحة يوم الأربعاء المبارك سابع عشرة القعدة الحرام سنة ١٠١٧[١] . وفخر الأمرا الكرام عمدة الكبرا الفخام، الأمير يوسف بيك ميراللوا الشريف، وأمير عربان هوارة، واقليم دجرجا بالوجه القبلى، وكامل اقليم الصعيد الملقب بالغطاس، لا زال محروساً بملايكة إله الناس، وفخرى ذوى الاقبال، والعظمة والإجلال، الأمير قانصوه، والأمير محمد بيك، وصحبهم من العساكر المنصورة ما يسد عين الشمس فى كبد السماء ولم يبق بمصر إلا نفل كشيخ هرم أو طفل أو نحو ذلك، بالعاديات ضبحاً والموريات قدحا، والبنادق والمكاحل، وأثاروا من دخان البارود وسنابك الخيل نقعاً صير النهار كظلمة الليل، ما بين فارس وراجل ومبندق ونابل، [٨٣] وذلك غير ما صحبهم من مشايخ العربان، من ساير البلدان، وضيقوا عليهم المطالب، وسائر المآرب، وأحرموهم لذيذ المطاعم والمشارب يحطم كل منهم صم الجنادل والجبال، عددهم ما ينوف عن عدد الحصى والرمال من كل خوّاض للغمرات، نهاض بالغرمات، رواض للحاجات على صواهل ينقلن الأطواد عن صهواتها، ويقذفن الزبد كالحمام من لهواتها، ويكتنفن طلايع النقع بكوكب غرة جبهاتها، ويعانقن بيض الصفاح بسود ذوائب صفحاتها، وطيور الهام تقصد من الأحداق أوكارها، والأوتار تطلب من الفتنة الباغية تارها، ويشعلن نارها والحديد قد سد على النبال المنافذ، والنصل تكسرت على النصل كانهن قنافذ، فتوجهوا إلى الريدانية بعزيمة قوية، وفخر العربان، قاهر ذوى الطغيان ذى الأصل الأصيل الأثير، الأمير على ابن الخبير، قد توجه إلى ناحية بولاق وجزيرة الفيل، [٨٤] تجاه العسكر الشريف فبينما هم مستعدون، وللحرب متأهبون، إذ بلغهم أن الطايفة المخذولة المأسورة،

---

(١) ١٢ فبراير ١٦٠٩ م .

قد افترقوا ثلاث فرق ، وقصدوا أن يكبسوا على العساكر المنصورة فى تلك الليلة ، فقال الأمير يوسف أن من الرأى المتين، والقول الرصين أن يتوجه إلى خان البهار ، الذى هو ورا الطبخانة ليدخل فيه الضعيف والعاجز منا، وأما نحن فنبيت خارج الباب ، ونجعل أظهرنا إلى الخان ، فنكون محصنين ، حتى لا يأتون من ظهورنا ، فقدر الله تعالى الذى لا راد لأمره ، ولا مرد لحكمه ، أن فى تلك الليلة ثارت رياح عظيمة ، وبرق ورعد كنفخ الصور ، وأمطار غزيرة دامت إلى البكور ، ورفع لحضرة مولانا الوزير أدام الله تعالى أيامه أن الجند الأشقيا ، قد تجمعت بما انضم إليهم من اللفيف ، وأرادوا الهجوم على المدينة ونهبها ، وقتل أكابرها [٨٥] واستباحة أموالهم ، فوعظهم ثانيا، وحذرهم سطوة الخنكار أعز الله تعالى أنصاره ، وضاعف اقتداره ، فلم يمتثلوا ذلك ، ولم يزدادوا إلا تمردا وعصيانا وطغيانا ، وشقاوة ، فضاق صدره لذلك وجرح جرحاً شديداً ، واهتم لذلك جداً ، ودعي الله سبحانه وتعالى وفوّض أمره إليه ، وأن الأمر فى ذلك كله راجع لما يقتضيه ، وقد بالغ النبى صلى الله عليه وسلم فى التصريح به والنص عليه بقوله لعبد الله بن مسعود « ليقل همك ما قدر يأتيك ، وما لم يقدر لم يأتك ، وأعلم أن الخلق لو جهدوا أن ينفعوك بشىء لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا على ذلك » ، « بقوله عليه الصلاة والسلام « ليقل همك أمر بالتفويض » ، وقوله « ما قدر يأتك » ، بيان العلة ، التى من أجلها فوض العقلاء ، وسلموا إلى الله عز وجل ، ونحو ذلك كما روى فى مسند مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى هريرة . [٨٦] فى كلام قاله له « فان أصابك شيء فلا تقل ، لو فعلت كذا كان كذا كذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان « لو » تفتح عمل الشيطان ، فدله على التفويض إلى الله ، والتسليم لأمر الله ، ونهى عن قول « لو » لما كانت تنافى التفويض إلى الله ، وتقتضى الاعتراض على قدرته ، والتوطى لدفع مشيئته ، قيل كان الحجاج ابن يوسف الثقفى إذا تعارضت أراؤه فى خطب من الخطوب .

أنشد :

دعها سماوية تجرى على قدر لا تفسدها برأى منك منكوس .

هذا وقد عدوا أيام الحجاج من الفتن العظام على ما ذكره إمام المحدثين ، سلطان العلما المجتهدين الشيخ جلال الدين بن المرحوم كمال الدين السيوطى الشافعى فى كتابه تاريخ الخلفا ، قال قال ابن أبى حاتم فى تفسيره ، حدثنا يحيي ابن عبدك القزوينى ، حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا [٨٧] المبارك بن فضالة عن على بن زيد عن عبد الرحمن بن أبى بكر عن العريان بن الهيثم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما ، قال ما كان منذ كانت الدنيا رأس ماية سنة إلا كان عند رأس الماية الأولى أمر قلت كان عند رأس المـاية فى هذه الملة فتنة الحجاج ، وما أدراك ما الحجاج ، وفى المـائة الثانية فتنة المأمون وحروبه مع أخيه ، حتى درست محاسن بغداد ، وباد أهلها ، ثم قتل أخاه أشر قتله ثم امتحانه الناس بخلق القرآن ، وهى أعظم الفتن فى هذه الأمة . وأولها بالنسبة إلى الدعا إلى البدعة ، ولم يدع خليفة قبله إلى شىء من البدع ، وفى المائة الثالثة ، خروج القرمطى ، وناهيك به ثم فتنة المقتدر ، ولمـا خلع وبويع لابن المعتز ، وأعيد المقتدر ثانى يوم ، وذبح القاضى وخلقا من العلما ، ولم يقتل قاضى مثله فى الإسلام . ثم فتنه تفرق الـكلمة ، وتغلب المتغلبين على [٨٨] البلاد واستمر ذلك إلى الآن ، ومن جملة ذلك ابتداء دولة العبيدية ، وناهيك بهم إفساداً وكفراً وقتلا للعلما والصلحا ، وفى المائـة الرابعة كانت فتنة الحاكم بأمر أبليس لا بأمر الله ، وناهيك بما فعل ، وفى المائة الخامسة أخذ الفرنج الشام وبيت المقدس ، وفى المائة السادسة كان الغلا الذى لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف عليه السلام ، وكان ابتدا أمر التتار وفى المائة السابعة كانت فتنة العظمى التى أسالت من دماء أهل الإسلام بحاراً ، وفى الثامنة كانت تمرلنك التى استصغرت بالنسبة إلى فتنة التتار على عظمها ، قال الشيخ رحمه الله تعالى ، وأنا أسأل الله أن يقبضنا

إلى رحمته ، قبل وقوع الفتنة التاسعة ، وأنا أقول أيضاً وأسأل الله سبحانه وتعالى ، وأتوسل إليه بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقبضنا إلى رحمته وغفرانه قبل وقوع الفتنه العاشرة ، فتأسى بذلك [٨٩] مولانا صاحب السعادة ، وقام فى تلك الليلة ، فأحياها بالصلاة والقراءة والدعا ودموعه تجرى على خده ، كما أخبر عنه بعض الثقاة تواضعاً وابتهالا لله سبحانه وتعالى ، وأخذ المصحف الشريف وقبله ، وفتحه ليأخذ منه فألا مباركا ، فصادف قوله تعالى « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم»[1] الآية ، فحصل له بذلك سروراً عظيما ، وسرى عنه ما كان به وأخذ فى إجهار الندا فى تلك الليلة أنه من كان طايعا للسلطنة الشريفة فليخرج فى بقية ليلته ويبيت فى الطبخاناه عند العسكر الذى هو مقيم بها ، فتوجه الجمع الكبير من الجاووشية وغيرهم إلى الطبخاناه ثم أثناء تلك الليلة خرج الأمير مصطفى السردار المشار إليه ، ومن معه من العساكر السلطانية وهو فى موكب عظيم زايد الانبهار لا يعد ولا يحصى إلى الطبخاناه المذكورة ، ظاهر القاهرة يوم الجمعة من الشهر المذكور ، وأمامه عشرة مدافع [٩٠] وضربزانات كبار هايلة زايدة الاعتبار ، والعساكر محدقة به من كل جانب ، وهم غارقون فى الأسلحة وآلات الحرب كما شرح ذلك ، ومعه ساير أمراء الألوية الشريفة ، وأمراء البلوكات الثلاث ، والألوية السلطانية منشورة على رءوسهم ، والنوبة الخنكارية والطبول والزمور ، وكان يوم خروجه يوماً مشهوداً ، ولم يعهد مثله فى العظمة والأبهة ، وجميع أهالى مصر قد ملوا الحوانيت والشوارع ، مزدحمين بعضهم على بعض لمشاهدة ذلك الجمع العظيم والعسكر الفخيم ، وكل منهم مبتهل بالدعاء للحضرات الشريفة بالنصر والتأييد ، وأن الله سبحانه وتعالى يخذل هذه الطايفة ويعاملهم بالنكال الشديد ، وتوجه إلى الريدانية ، وخيم بظاهرها فلما سمع الأمير يوسف ، ومن معه من العساكر

---

(١) سورة التوبة ، آية ١٤ .

حسّ صهيل الخيل وحركات العسكر وهيجانهم فى بعضهم ، ظنوا أنهم قد كبسوا ، فأرموا البنادق [٩١] عليهم وهم لا يعرفونهم ، وقد حصل الرعب فى قلوب الفريقين ، ولولا أن لطف الله تعالى بالمسلمين ، وبعساكر الإسلام لقتل فى تلك الليلة من الطايفتين ما لا يعد كثرة ، ولكن الله تعالى سلم بسماع أصواتهم فمسك كل منهم يده ، واجتمعوا فى محالهم ، وتولى الحرس فى تلك الليلة الامرآ الصناجق التى بالريدانية إلى الصباح ، وقد نودى ثانى يوم خروج السردار أن جميـــع السوقة والمتسببين والخبازين والزياتين ، وأرباب البضايع والقهوجية أن يتوجهوا ببضايعهم ، ويبيعوا ، على العساكر المنصور ، ويسيرون معهم حيث ساروا فامتثلوا ذلك وخرجوا بجميع بضايعهم إلى حيث العسكر المذكور ، هذا وقد ورد ساير أكابر مشايخ العربان حتى العصاة المؤمّنين من حضرة الوزير ، وكان فى السابق أرسل إليهم وأمّنهم ، وحلفهم ، واستتوبهم عما كانوا يفعلونه من سلب المسلمين ، وألبس مشايخهم [٩٢] خلعاً عظيمة ، وقد ربطوا الطرقات من جهاتها الأربع ، وهم كالجراد المنتشر ، فلما رأت الطايفة الشقية هول ذلك الجمع العظيم ، وهم قد سدوا الآفاق ، وفـــزعوا وتحيروا وارتعبوا وارتعدوا ، وأخذوا فى الحيرة والإنبهار ، وعميت منهم الأبصار ، وانحل برمهم ، وهبطت(١) قواهم ، وحاروا وخاروا ، كما تخور الأثوار ، وصاروا ولهانين حيارى ، دهشانين سكارى ، وتيقنوا أنهم مأخذون لا محالة ، وإنما يشجعون أنفسهم ويتعللون بالمحالة ، فخيب الله سبحانه وتعالى ظنهم وشتت جمعهم ، والعسكر المنصور يحاولهم ويجاولهم ، وقلت :

ولازموهم ثم طافوا بهم ... وأحدقوا كالسيف لا كالسوار
وانهزم الأعداء إذا بصروا ... بحر وغى تغرق فيه البحار
وعذرهم إذ هربوا واضح ... هل يثبت الليل أمام [٩٣] النهار

(١) فى الأصل « هبط » .

وقلت :

ولما أبى الأعداء إلا تمـــرداً   أبى الله إلا أن يكون لنا النصر
فكم زجرتهم من سلطان[1] مواعظ   فما نفع الوعظ المنية والزجر
أبى الله إلا أن يكـــونوا أذلة   ففروا وشتان المذلة والفـــر

وفى أثنائه توجه حضرة السردار إلى أن نزل فى ساحة بركة الحاج الشريف تجاه الطايفة المخذولة ، وكانوا قد انتقلوا من مكانهم الأول ونزلوا خلف البركة من ذلك الجانب ، وقد تحصن كل من الطايفتين والأشقياء على ماهم عليه ، من الرعب والخوف ، فأرسل إليهم السردار يقول لهم إن البلا واقع بكم لامحالة وقد رأيتم ما رأيتم من هول العسكر وقوتهم ، ولو كنتم أمثالهم أو أمثال أمثالهم لم تقاوموهم [٩٣] لأنـكم باغون خاينون ، ناكثون العهود والمواثيق ولعلـكم أن تسمعوا وتطيعوا ، وتنزجروا وتتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى وتقلعوا عما أنتم عليه ، فإننى والله ناصح لـكم ، وأنتم شرذمة قليلة ضعيفة بالنسبة إلى قوتنا وكثرتنا وتعرفوا أيضاً عاقبة الظلم والبغض ، وماضربناه لـكم من الأمثال ، فلما سمعوا ذلك أجابوا تشجعاً لاشجاعة ، إن أردتم رجوعنا عن قتالـكم ومحاربتكم فيـكون ذلك بإحدى شيئين ، إما بالخدم القديمة وهى الثمانية عشر خدمة المذكورة ، أو القتال بيننا وبينكم ، وأبى السردار ، وأقدم بمن معه من العساكر إلى قتالهم والتنـكيل بهم ، بل وقتل منهم طايفة ، فلما نظروا إلى تلك العساكر المصرية وما معهم من العدد والأسلحة والبندق والنار ، ونظروا إلى تلك المدافع الـكبار المقدمة نحوهم ، وإلى كثرة العربان ، وقد صاروا بينهم كالـكرة فى البسيطة ، وأنهم مأخوذون لامحالة حاروا [٩٥] ودهشوا ، وصار البندق يتساقط من أيديهم من الدهش ، واصفرت ألوانهم واحتالت أكوانهم ورغمت أنوفهم ،

---

(١) فى الأصل « سلطانا » .

وقلت صفوفهم ، وقرعوا باب الصلح وتعلقوا بأسبابه ، وأرسلوا إلى حضرة السردار يطلبون منه أن يأخذ لهم من حضرة مولانا الوزير المعظم محمد باشا ، أعطاه الله تعالى من العظمة والإقبال ماشأنه الأمان ، وأنهم تائبون إلى الله سبحانه وتعالى من جميع ماصدر منهم ، وأن يشفع لهم عنده فى الصفح عنهم ، ويعاملهم بمافيه العفو عن جرائمهم ، وأن تذهب كل طايفة منهـــم إلى محلها ، فأجاب سؤالهم وجهز مولانا السردار المشار إليه فخر الأكابر الأمير مصطفى كتخدا جاوشيان المشار إليه ، لحضرة مولانا الوزير لعرض ماطلبوه وسألوا فيه ، كان جوابه الشريف هيهات ، هيهات ، كان هذا من الأول ، وأما الآن فلايمكن ذلك إلابشرط أن يقبضوا على جميع من كان سبباً لهذه الفتنة ويحضرونهم [٩٩] إلى الديوان الشريف،وإلا فما هناك إلاالسيف ، فعاد الكتخدا من ليلته وأخبر حضرة السردار بذلك ، فلما دعا داعى الصباح ونادى المنادى حى على الفلاح، وجرد الفجر صارمه الأبيض ، ولبس الصبح المشرق نوره المبيض ، وانهزم جيش الظلام وانتشر فى بياض الصبح الرايات والأعلام ، وكبت كماة المصاع ، وحماة الصراع ، ورماة الحـــدق من كل سرحان لاينظر إلا من جلد أرقم ، وشيطان لا يقتحم من نيران الحرب إلاجهنم ، وهم ثايرون للهيجاء ، غارقون فى دأماءالدماء ، مثابرون على اللقا ، وبرزوا بمامعهم من المدافع والبنادق ، وأكثروا من رفع الألوية والبوارق ، وزلزلوا الأرض والرمال ، ونسفوا التـــلال والجبال ، وأشعلوا نار الحرب وأقدموا على الطعن والضرب بمايصم الأذان بأصوات إذا أطلقت كالصواعق تهلك بالصعق وكصيب من السماء فيه ظلمات ورعد [٩٧] ذلك فلما استوثقوا بالأمان صاروا يأتون أفواجاً ، خاضعون ذليلون يقبلون أقدام مولانا السردار ، ومن معه من الأمراء ذوى الاقتدار وقد صار كل واحد منهم يتوجـــه إلى بلوكه ويقف تحت سنجقه ، وهو فى فى غاية الذلة والخذلان ، وقد ضحك عليهم الشيطان حتى أحلهم محل البوار

والبهتان هذا وقد ظفر بعض العسكر السلطانى بطايفة من العزيكية (١) فقطعوا رءوسهم ووضعوا السيف فى رقابهم ، إلى أن لم يبق منهم أحد ، سوى ما انسحب منهم طريداً شريداً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وتوجه الأمير السردار بمن معه من العساكر المنصورة ، إلى الخانقاه السرياقوسية وجمع من هناك رءوس العسكر ، وقد اطمأن المسلمون بذلك وسروا سرورا عظيما ، وآمنت الرعايا ونامت البرايا ، فى أكناف ظلال السلطنة الشريفة ، ودعوا بدوام دولتها المنيفة لازالت ظلال عظمتها فى ساير الأقطار سايفة وريفة ، وجهز بخبر ذلك [٩٨] كله إلى حضرة مولانا الوزير المشير لذاته وهبه الله تعالى العزة والاقبـــال ، والهيبة والعظمة والاجلال ، فسر بذلك سرورا كبيراً ، وحمد الله سبحانه وتعالى وشكره شكراً غزيراً ، وازداد فرحا وغبطة وسروراً وانبساطاً وحبورا ، وأنعم بالخلع الفاخرة على أصحاب البشاير بذلك ، وكذلك على الأمير الكبير على بن الخبير ، والأمير محمد جلبى بيك وكل من حضر إليه مبشراً بحيث وصلت الخلع الشريفة إلى نيف وعشرين خلعة فاخرة فى يوم واحد خلا بقية الأيام ، وقدمت العساكر السلطانية الخنكارية والنصر يقدمهم ، والعز والسعد يخدمهم ودخل فخر الأمراء الكرام الأمير مصطفى كتخدا المشار إليه ، بعد ذلك ، وهو فى غاية العزة والعظمة وبين يديه ثلاثة رءوس وتسعة أنفار مثقلون بالحديد يساقون بين يديه فى وقت الضحى من ذلك اليوم ، ثم وصل حضرة السردار ، فى وقت العصر من ذلك اليوم والرءوس أمامه والبلوكات موضوعون فى الحديد مشاة [٩٩] أقدامه ، وهم بالحالة المذكورة فى غاية الذلة والاهانة والحقارة والمهانة وكان يوم دخوله يوما شهوداً ، وأهالى مصر من كبير وصغير ، وغنى وفقير ، كل ذلك مسرورا ومحبورا ، رافعين أصواتهم بالدعا وحسن الثناء ، وطلع إلى القلعة الشريفة وأمراء الألوية بين يديه ، والسنجق الشريف مظلل عليه ، ومثل بين يدى مولانا الوزير ، وذكر له ماوقع من أول الحادثة وآخرها على وجه

---

(١) هكذا فى النص .

التام ، فشكر الله تعالى الوزير على مامنحه من النصر التام ، وقطع رءوس طايفة كثيرة من الأشقيا فى ذلك اليوم فى ساعة واحدة ، وكان ذلك بمحضر من حضرة مولانا قاضى مصرجبار زاده وقت آذان العصر ، وبمحضر من فخر العليا عمدة الأماجد والفضلا أحمد أفندى باشا زاده ، وجماعة من الأكابر والأعيان ، ثم صار مولانا الوزير كلما يجاء اليه بأحد من الأشقياء يفعل به كذلك إلى أن استوفى فى يومه ذلك نيفا وأربعين نفراً سبكهم سبكا فى ساعة واحدة ، وذلك خلا ما كان [١٠٠] على الأرماح وهم عشرون رأساً وصار لا يغفل عن تتبعهم وكل من أتوا به إليه يفعل معه السياسة حتى خلت أراضى مصر من المعتدين ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، وقد عرف هذا الوزير الكريم نعمة الله سبحانه وتعالى عليه ، وتواتر فضله واحسانه لديه ، معترفاً بتتابع آلآء الله تاليا قوله سبحانه وتعالى «وما النصر إلا من عند الله»[١] متحققاً عجزه عن ذلك ، وعدم قدرته لولا نصرة مولاه عالما بعجزه وقصوره ، مفوضاً إلى جناب الحق غاية أموره ، قايلا بلسان حاله منشدا بصريح مقاله :

سلم إلى الله الأمـــور مفوضاً فالعبد أحسن حالة التسليم

ومن خصايص هذا الوزير المشير ، حسن نظره إلى الرعايا ، ومعدلته للبرايا ، خصوصاً فلاحى البلاد والتلطف بهم على وجه السداد ، وإجرائهم على عوايدهم القديمة من عدم معارضة الملتزمين فى [١٠١] أطيانهم وزراعاتهم وآثارهم ، وعدم إخراج ذلك عمن بيده من الفلاحين والملتزمين إلا بحجة ماشية ، وسياسة الأمور ، وما فيه النفع للجمهور ، ومن خصائص هذا الوزير حسن نظره إلى أهالى الحرمين الشريفين ، وعدم معارضتهم فيما هو بأيديهم مع الزيادة منه أيضا ، والاحسان والتفضل عليهم وطلب الدعاء منهم ، ومواساتهم

---

(١) سورة الأنفال، آية ١٠ .

لكونهم جيران الله سبحانه وتعالى ، بواد غير ذى زرع ، ونمو صرتهم وما بيدهم من بيت المال المعمور ، ضاعف الله تعالى له الأجور ، ومن خصائص هـذا الوزير أيضاً النظر فى أمر الزوايا والأضرحة والمساجد وزيارتها فى كل حين ، وعمارة ماينبغى عمارته منها العمارة الحسنة المتقنة ، وزيارة مقامات الأولياء والصالحين ، والعلماء العاملين كمقام مولانا الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه ، ومقام سيدى عقبة بن عامر الجهنى الصحابى ، والليث بن سعد القلقشندى المصرى ، ومقام ولى الله تعالى والعارف به سيدى فارس قطاه ، وعمارة مقام ولى الله تعالى والعارف [١٠٢] به سيدى على أبو النور ، واتقان عمارته جداً إلى أن صار كاحسن ما يكون، وكثير من المدارس والمساجد والزوايا ، وغالباً من ماله الشريف ابتغاء لوجه الله تعالى ، وطلباً لمزيد مرضاته ، وعمارة القلعة المعمورة . العمارة الجيدة واقتلع مادرس منها وعمره عمارة متقنة ، وأنشأ بها طباقاً عديدة وآثار حميدة ، ومن خصائص هذا الوزير اعتقاده فى الصالحا والعلما والأولياء بالقرافتين الشريفتين ، وطلب الدعا منهم والإحسان إليهم خصوصاً طايفة المجاذيب فانه له ميل كلى من الدنو منهم والإحسان إليهم والتبرك بهم وجلوسه بين يديهم كأحدهم ، وقد رأى ولد مؤلف هذه العجالة هو أحمد الرفاعى رؤيا عظيمة تدل على ذلك لا بأس بايرادها ونتيجتها صدق المقال إن شاء الله تعالى ، وذلك فى الليلة المسفر صباحها عن يوم الثلاثا ثانى عشرين جمادى الثانى من شهور سنة ١٠١٨[١] رأى أنه كتب لحضرة مولانا [١٠٣] الوزير عرض حال بخط والده المذكور فى نصف الفرخ الرومى وكمل ما كتبه فى عرض الحال فى الهامش فبقى مقدار سطرين كتبهما على طرة القصة من فوق ، ثم رفعها إلى حضرة الوزير المومى إلى ذاته الشريفة وكان جالساً[٢] بالمشهد فأخذها الوزير منه وقرأها فأعجم عليه بعض حروفها لكونها باللغة العربية ، فقال للولد تقدم وادن منا فتقدم جداً إلى أن قرب منه وجعل يقرأها عليه حرفاً حرفاً وكذلك

---

(١) ٢٢ سبتمبر ١٦٠٩

(٢) فى الأصل « جالس » .

قرأ ما بهامشها ،ولم يقرأ ما على طرتها، فقال له حضرة مولانا الوزير، إقرأ هذا وأشار إليه فقرأه ، فلما انتهى من قراءته مد يده الشريفة فأخذها وكتب عليها بخطه الشريف ، فأقيمت الصلاة ، وهو عمّال يكتب ، فلما سمع الإقامة وضع القلم بالدواة ، وقام إلى الصلاة ، ولم يكن الولد حين ذاك متوض فذهب وتوضأ وأتى فوجد الصلاة قد انتهت ، فصلى منفرداً وجاس الوزير نصره الله تعالى وأخذ فى اتمام الكتابة على القصة ، وإذا بأربعة أشخاص من المجاذيب [١٠٤] المستغرقين جلوس على مايدة وضعت لمولانا الوزير لجلس الولد بينهم ، وقال لهم من أى حرفة أنتم فقالوا نحن من فقرا بردين ، فقال لهم أنتم من فقراينا فقالوا له من أنت فقال لهم رفاعى ، فقالوا نعم أنتم ساداتنا ثم التفت كبيرهم وقال لحضرة الوزير نصره الله يا مولانا اقض حاجة هذا فانه من ساداتنا ثم رفعت المايدة فجعل حضرة مولانا صاحب السعادة يتبسط معهم ويجاذبهم ويسألهم الدعا ، وهو جالس معهم بأدب وخضوع ، ثم وقف بعد ذلك على أقدامه الشريفة ، وإذا بجانبه الأيمن كرسى وتحته قفطانين أحدهما بغدادى مضرب كلكلى ، والآخر أخضر فأخذ القفطان الكلكلى فقال كبير المجاذيب تحياتى عليك نلبس هذا فأفرغه عليه ، ثم عهد الى الأخضر وألبسه للثانى وجلس وأخرج ختمه الشريف ووضع عليه شيء من الحبر ودفعه للولد وهو مشتبك بعقد حريرمعه ، ودفع له القصة أيضاً ، وقال اختم عليها بيدك فلا تخالف ما كتبت [١٠٥] لك أخذ ، فختمها الولد ثم انتبه والقصة بيده فوجد المؤذن يؤذن لصلاة الصبح فتوضأ وصلى ، وهذا المقام يدل على تعلق قلب مولانا الوزير نصره الله تعالى بمحبته المجاذيب والاعتقاد فيهم ، وهو بموجب ذلك ملحوظ بلحظهم، ومن خصايص مولانا الوزير أيضاً ما وقع فى هذه الحادثة الشنيعة فى زمنه الشريف ودفعها بسياسته ووفور عقله ، وفراسته على أحسن حال وأتمه وأنجحه وأعمه،هذا وقد عجز عنها من تقدمه من الوزراء والبكلربكية عجزا كلياً ،مع ما حصل لهم من الأمور المشروحة،وذلك لحسن نيته ومحبته للمجاذيب والفقرا ، وتصرفه

بعقله الوافر ورأيه الثاقب ، ونظره الصايب ، بلّغه الله تعالى غاية المراد والمرام ببركة النبي عليه السلام ، ومن خصايص هذا الوزير المشير ، قطع جادرة أهل العناد ، والبغى والفساد ، أولياء الشيطان بمعونة الرحيم الرحمن ، فان ذلك لم يسطر نظيره فى ديوان ، وكف أكف الظلم عن الرعية ، ومافيه الأمن والانبساط للبرية ومشى [١٠٦] الغنم مع الذياب لاتجسر الذياب عليها وكأنها الولد بين يديها من الحنو والشفقة اليها ، والناس آمنون فى ظلال السلطنة المنيفة فى زمن ايالته ووزارته الشريفة ، ومن خصايص هذا الوزير المشير إلقاء الرعب فى قلوب جميع الأعداء والمفسدين والفسقة المعتدين حتى أنه صار أكبرهم أصغرهم ، وأعزهم أذلهم وأمثلهم أحقرهم وصاروا هباء منثورا ، وأمرهم مبتورا ، ومن خصايص هـذا الوزير أن مصر صارت فى زمنه تحلا كالعروس بتالد من الحلل والتزين كثيرة الأرزاق نابتة الأغصان والاعراق نزهة للناظرين فى غاية الأمن والتوطين ، وقد دب فيها ماء الحياة بعد موتها سنين بسعادة هذا الوزير العظيم المشير ، وعلى كل الأحوال فى الحال والمآل ، فهذا الوزير المفخم ، والدستور المعظم ، عمر مصر بعد دثورها ، ودبر مصالحها وأمـورها ، وأذهب شرورها ، وأدام سرورها ، ودان له كبيرها وصغيرها ، ونظرت اليه بالمهابة الاحداق ، وخضعت له طوال [١٠٧] الأعناق خلد الله تعالى على التخت اليوسفى وزارته وايالته وأدام سعده وسيادته وسعادته ، وعمر به البلاد وأنعش به العباد ، ونصره على الأعـــدا والحساد ، بجاه سيد العباد وزين العباد آمين .

ومن الأمر العجيب المطرب الغريب أن حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى بعد هذه الواقعة بيسير ، أمر بقطع ما علا من الأرض بالأسواق والحوانيت ومساواتها ، فلما شرعوا فى ذلك مر شخص من الناس ، وقال لرفيقه ما هذا فقال إن حضرة مولانا الوزير أمر بقطع ما مشى عليه الجند المفسدين من الأرض ، فقال الفقير فى ذلك مؤرخاً :

في وقعة الأجناد قد حارت قلوب وفكر
والحق عم لطفه على الوزير فانتصر
وقطع الأرض التي[1] مشوا عليها وعفر
وأبدل الله العلى بالصفا غث الكدر
قد جاء في تاريخهم يقطع الله الأثر

سنة ١٠١٧ [١٠٨] ١٦٠٩ م

في التاريخ حرف مشدد، والمشدد عندهم بحرفين في اصطلاح الأوفاقية
وقال الشيخ علي الملاح مؤرخاً .

أجناد مصر قد طغوا وبجهلهم قد باهوا
طلبوا بغي طلبة عنها نهانا الله
وخالفوا مايكهم وبخلفهم قد تاهوا
فأتى الوزير محمد بالنصر من مولاه
ليردهم عن غيهم فأبوا اتباع رضاه
وتجمعوا لقتاله أرخت هدّ بغاه

سنة ١٠١٧ هـ/١٦٠٩ م

ولكاتبه :

أتى جمع من الأجنا د جمعاً ذل لقياه
فكل منهم الشيطان بالتاريخ أعناه

سنة ١٠١٧/١٦٠٩ م

---

(١) كتب البيت في الأصل :
« وقطع الأرض الذى مشوا عليها فى الأثر »
ثم شطب فى الأثر ، ولم يضع التصويب ، كما أنه استعمل الاسم الموصول « الذى » بدل التى
ولذا أثبتنا البيت كما جاء في كشف الكربة، انظر كشف الكربة المطبوعة المشار اليها ص ٣٧٤ .

وقلت مؤرخا :

قال لى صاحبي وقد ثارت ألفـ ساق للحـرب طالبين النزالا
والذى قلت قلت أرخ فزالوا وكفى الله المؤمنين القتالا.
سنة ١٠١٧ / ١٦٠٩ م

وقلت : [١٠٩]

جاشت جيوش الترك يوم غرورهم يتضامرون على متون الضمر
أوردت أطراف الرماح صدورهم فولغن فى علق النجيع الأحمر
فهناك لم تر غــــير نجمه مقبل فى أثر عفريت رجيم مدبر
فمن الذى من جيشهم لم ينهزم ومن الذى من جمعهم لم يقهر
لا يعـــد منك المسلمون فكم يداً أوليتهم معروفا لم تنكر
أمنت مصرهم وصنت حــريمهم وزرأت عنهم قاصمات الاظهر
ما أن أراك الله إلا آمرا فيهم بمعروف ومُنكرٌ منكر

وقلت :

ما رأينا فيما تقدم يوما كامل الحسن غاية فى البهاء
مثـــل يوم الأجناد جنى عليهم ذلة القهر والبلا والفنا [١١٠]
بعد جمع لهم عديد فصاروا بين ذل وحسرة وعنا
هكذا هـكذا هلاك الأعادى عند متن الاغارة الشعواء
فلقوا منهم بما كان فيهم من فساد بجهلهم وإعتـــداء
لا حمى الله شملهم من شتات بمواض تفوق حد المضاء
فجزا المفسدين قتل وأسر وجزا الشكور خير الجزاء
ولرب العباد حمـــد وشكر دايم مع تواصل النعماء

وقال كاتبه أيضاً :

ان جس عوداً رأيت الخيل راقصة كأنها في سماع هزها النغم
أو حركت يده اليمنى له وتراً على اعاديه غنى البـــوم والرخم
وساق كل عصاة المصر خاضعة [١١١]تمشي الهوينا وقد زلت بها القدم
فالخيل والليل والبيدا تعرفه والسيف والرمح والقرطاس والقلم .

وقال أيضاً :

أبى الله أن يموتوا أذلة وفروا وشتان المذلة والفر
وغرتهم الأحلام في ساعة فكا د يقرعهم خوفا إذا استيقظوا الفجر
طووا مكرهم تحت الضلوع خيانة لحاق بهم خبث الطوية والمكر
نبت بهم أوطانهم فتنكروا وحق الأوطان إلى أهلها النكر
لقد ركضت خيل المنايا فارجفت بهم ولهم فيمن بقي منهم ذكر

ومما قلته في هذه الواقعة متمدحا لحضرة الوزير نصره الله وتعالى :

لك الحمد يا مولاي في السر والجهر على قتلة الأجناد [١١٢]والعز والنصر
وتدبير مولانا الوزير ومن له أياد كموج البحر والنيل في مصر
وزير عظيم الشأن ثاقب رأيه يجهز في آن جيوشا من الفكر
يقوم بأعباء الوزارة قومة يشد جيوش الملك بالأيد والذكر
بكل جديد الطرف اسمران رما إلى جحفل أحاه بالنظر الشزر
ومن أبيض لا يعرف الصبح إنما يقاتلهم بالحد في لبـــة النحر
فما اضطربت في نحر قلب سيوفه ولا اختلجت أوداجه في سوى صدر
فكم حاز من أجر وأولى من الندا ويسر من عسر وأنقذ من أسر
فيا حافظ الإسلام من طعن طاعن
يصيب ويخطى في الحديث ولا يدرى [١١٣]
بأفق علاه قابعة الجبل ازدهت فهزت صباحا فوق قادمة النسر

وحفظ بلى ذات البروج به وقد   بدت فى حلاه الغر كالأنجم الزهر
حمى حوزة الإسلام بالباس والندا   وجهز جيش النصر فى العسر واليسر
أياد له بالباس كاسرة العـــدا   ولـكنها بالجود جابرة الـكسر
محمد مولانا الوزير عزيزنا   ألم تره فى مصر أحكامه تجـرى
حمى أرض مصر من طغاة أذلة   ومهـــد جيشاً قد تمزق بالشر
وشتت شمل الأشقيا وردهم   مثال قرود فى البلاد من الذعر
وقطع رءوسا من كبار رءوسهم   لهم باطن السرحان والطير كالقبر
وكأن عصى موسى تلقف كلما   بدا من صنيع الأشقيا[١١٤] من البحر
منـكسة أعلامهم ورءوسهم   فلا غرو أن يبنى الجميع على الـكسر
وأبديت فى فن الحروب معانى الـ   تشريع برد العجز منهم على الصدر
خدمت سجاياه العلا بعجالة   بديعة لفظ نخبـة الدهر والعمر
ومن بحرب العجاج صغت قصيدة   كميت لخول الشعر فى خلفها تجرى
وجهزتها فيه إليه هـــدية   ومن عجب أن يهدى الدر للبحر
يلف حياء وجهها طيب نشرها   فتجلو طباق الحسن فى اللف والنشر
نخذها عروسا من سميك وهو من   ذوى سعد فى أرض البرلس فى الذكر
وفى النفس حاجات وفيكم مكارم   يناجيك عن أسرارها عالم السر[١١٥]
فقـــير ومن أهل العيال وماله   وحرمة رب درهم قط فى مصر
ومن نيلك الفياض يرجو مكارما   فنيل أياديـكم تجل عن الحصر
وعش وأبق واسلم وأغن وأغنم وجـد وسد
ودم وأرق وأسعد فى هناء مدى العمر
ونل فوق هام الأنجم الغر رفعة   لتروى حديث الجود منك عن الزهر
ويارب فاحرسه بجاه محمد   وأيده يا رباه من حادث الدهر
غـــزا بحمد جاه تاريخ وقعها   وانشايها والنظم يا ملك العصر
سنة ١٦٠٩/١٠١٧

والحمد لله أولا وأخرا ، وباطنا وظاهراً وحسبنا الله ونعم الوكيل .